مكان مع الخنازير

تأليف : أثول فوجارد
ترجمة : محمود أبو دومة

عن المؤلف والمسرحية

يُعد أثول فوجارد من المؤلفين المعاصرين الذين يمارسون الإخراج والتمثيل ويؤسسون الفرق فى إطار مفهوم المسرح التجريبى . وقد وُلِد عام ١٩٣٢ بجنوب أفريقيا فى منطقة رعى بمقاطعة « كيب » ، وهو لأم زنجية وأب من أصل ايرلندى . وقد جمع خبرات متعددة فدرس ميكانيكا السيارات والفلسفة والأنثروبولوجى . وتاجر عبر البحار لمدة عامين ، لكنه يعود عام ١٩٥٦ فيؤسس فى مدينة « كيب » أول فريق للمسرح التجريبى مع زوجته الممثلة ـ آنذاك . ثيلا مرينج مسرح ليعرض على مسرح « لابيا » ليالى الآحاد .

وفى عام ١٩٥٩ يحاول العمل بالمسرح الأوروبى فلا يتمكن من ذلك فى انجلترا فيعمل المسارح الهولندية ثم يعود إلى جنوب أفريقيا عام ١٩٦ ليصبح مديرا لمسرح صغير هو مسرح رهرسل « البروفة » . وفى عام ١٩٦٣ يؤسس فريق ممثل السربنت ، وتتوالى المشروعات الأعمال .

من أشهر أعماله فى مصر والتى قدمها طلاب معهد فنون مسرحية مات سيزوى بانزى التى كتبها عام ١٩٧٢ وحصلت على جائزة أحسن مسرحية لعام ١٩٧٣ من رابطة النقاد المسرحيين بلندن ونوجوجو ورابطة الدم والناس يعيشون هناك وبوزمان ولينا والضيف .

وقد قام بإخراج عدد من المسرحيات العالمية إلى جانب أعماله ، مثل فى انتظار جودو وشريط كراب الأخير كما أخرج فى لندن عام ١٩٦٦ لوولى سوينكا محاكمات الأخ جرو وقد سحبت السلطات جواز سفر عام ١٩٦٧ ولكنها أعادته عام ١٩٧١ ليخرج على مسرح الرويال كورت مسرحيته بوزمان ولينا بعد أن فازت بجائزة أوبى Obie

أما المسرحية التى تنشرها المجلة فى هذا العدد مكان مع الخنازير فقد كتبت عام ١٩٨٨ والناشر هو فابر وفابر بلندن . وقد قدمها مسرح السوق بالعاصمة جوها نسبرج ومسرح كوتسلو بلندن وكذلك مسرح جامعة « ييل » فى مدينة نيوها فن بالولايات المتحدة الأمريكية حيث أخرجها أثول فوجارد نفسه وقام كذلك بدور بافل وقامت سوزان شيبرد بأداء دور براسكوفيا .

والمفاجأة الحقيقية أن المسرحية تنهض على أساس من واقعة حقيقية بطلها الشاويش بافل نافروتسكى الهارب من ميدان الحرب إبان الحرب العالمية واختبأ لمدة ٤١ عاماً فى « زريبة خنازير !!

المشهد الأول : الاحتفال بعيد النصر ؛

«زريبة خنازير فى قرية صغيرة ، المكان رطب وموحش ، يبدو أنه مهجورٌ منذ زمن طويل ، الجدران مغطاة بآثار شخص يعد الأيام بعلامات بدائية وبآلة حادة ، يجمع الأيام فى مجموعات لتصبح أسابيع ، ومن مجموعات الأسابيع تتكون الشهور التى تترجم إلى سنوات ، تبدو أنها الفترة مابين عام ١٩٥٣ و ١٩٥٤ . أصوات الخنازير قلقة وهى تنتظر الطعام ، أحد هذه الخنازير يصيح بصوتٍ عالٍ :

فى هذا المكان يعيش بفيل إيفا نوفيتش نافروتسكى ، شابٌ فى النصف الثانى من الثلاثينات ، يائس ، وعلى شفا الجنون ، يمسك فى يده ورقة وقلماً ويحاول أن يكتب مسوّدة خطاب»

بفيل : سيدى الرفيق القائد العام . بفيل إيفانوفيتش لم يمت ، بل يقف بين أيديكم فى هذه اللحظة والأمل يملاء قلبه حتى تستمعوا إلى قصته ثم تتصرفوا معه بما ترونه مناسبا . سيدى الرفيق . والسادة الرفقاء ، بفيل يتوسل إليكم أن تصدقوا أنه نادمٌ على مافعل «يُسمع صوته بصعوبة وسط صياح الخنازير الجائعة فيعلى صوته «صدقوا أنه

فعلا نادم على ما فعل «الخنازير» اخرسوا .. اخرسوا «يلتقط عصاه ويضرب الخنازير» صمتاً أيها الأوساخ اللاهيون .. صمتاً .. صمتاً .. «صوت الخنازير يعلو، ثم ينخفض، فيعود بقيل إلى خطابه» : السادة الرفقاء أتوسل إليكم أيضا أن تصدقوا أنه فى غاية الندم على مافعل، ويعلم تماما العلم أنه قد أخطأ ويستحق الحماقة أسألكم عندما تقررون عقابى أن تضعوا فى اعتباركم أنى حاكمت نفسى فوجدتها مذنبة، ..

لذا فأنا التمس من عدالتكم تخفيف العقاب رحمة بى «تعلو أصوات الخنازير فيتجه نحو الباب ثم ينادى» براسكوليا .. براسكوليا «لا يتلقى رداً» .. براسكوليا .

براسكوليا : (صوتها آت من بعيد) سأحضر حالا .. احضر

بقيل : احضرى بسرعة «تظهر براسكوليا وهى تحمل ربطة من طعام الخنازير»

براسكوليا : لقد حضرت بأسرع ما يمكن

بقيل : بل تأخرتِ .

براسكوليا : لم أتأخر يا بقيل، لم أتأخر

براسكوليا : لا تناقشينى أيتها المرأة، انظرى إليهم «يشير إلى الخنازير» إنهم يدفعوننى للجنون، لم أعد أطيق هذا المكان .

براسكوليا : حسنا، لقد تأخرت

بقيل : إذن عليك بهم يا براسكوليا، اطعميهم فأنت لا تعاشرينهم إلا ساعات قليلة، أما أنا فأواجه أقسى اختبار فى حياتى كلها بينهم .

براسكوليا : أعلم ذلك يا بقيل

بقيل : شىء لا يمكن تصوره .

براسكوليا : لقد أعطانى الله يدين وقدمين أعمل بهما منذ استيقاظى فى الصباح حتى آوى إلى فراشى فى الليل، كما لو كنت أقضى عقوبة أشغال شاقة ثم إننى أطعم الخنازير قبل موعدها بساعة حتى أتفرغ للعناية بك ولمساعدتك قدر ما أستطيع .

بقيل : «يعود إلى خطابه» السادة الرفقاء إن هذا الرجل الواقف أمامكم لم يبق منه إلا البؤس والشقاء، مخلوق ضعيف لا يساوى إلا احتقاركم، ولو أنكم شاهدتم سنوات الألم والعذاب التى عاشها والكيفية التى عاقب بها نفسه لقال لكم ضميركم النبيل : لقد عاقب نفسه «تعذب بما يكفى فأطلق سراحه فقد حبس نفسه عشر سنوات، هل كانت حقا عشر سنوات ؟

براسكوليا : نعم

بقيل : ليست تسعاً ؟

براسكوليا : لا

بقيل : ولا أحد عشر ؟

براسكوليا : لا «بقيل يذهب إلى الحائط وهو ينظر إلى العلامات التى خطها عليه» لقد أحصيت هذه الأرقام مائة مرة من قبل يا بقيل .

بقيل : نعم عشرة أعوام وشهران وستة أيام بالضبط، ها هى ذا «يشير إلى الحائط وهو يتراجع فى إعجاب مثلما يفعل فنان وهو يتأمل لوحة» لا يستطيع أحد أن يجادلنى فى هذا، فقد أحصيتها يوما يوم، سيدى الرفيق، السادة الرفقاء، احصوها بأنفسكم، .. كل يوم يمر وأنا أتجرع هذا العقاب الذى فرضته على نفسى .

براسكوليا : فقط عشرة أعوام، أحيانا عندما أحضر إلى الزريبة لأطعمك وأطعم الخنازير أشعر أنك قضيت هنا عشرين عاماً

بقيل : عشرون فقط، .. ربما تساوى عندك هذا القدر أما أنا فأشعر أنها مائة سنة، لا . بل مائتان، .. بل أشعر إنها قرون، يجب أن تفهمى أن حياتى هنا لم يكن فيها إلا فلسفتان تسيطران على وجودى، وتتخللان كل قطعة فى كيانى، هما : روث الخنازير، والزمن .

كان علىّ أن أتعامل معهما بكل حواسى، كان علىّ أن أشم الروث، وأحسه، وأتذوقه، بينما روحى تغوص فى الزمن، الثوانى الثقيلة، الدقائق التائهة، والساعات البطيئة، والأيام المملة، والشهور المتكررة الثابتة كل هذه الأشياء صنعت تلك السنوات التى تزحف مثل سلحفاة ثقيلة .

براسكوليا : يجب أن تخبر الرفيق القائد العام بكل ذلك يا بقيل .

بقيل : إننى أنوى ذلك

براسكوليا : كم هو وصفٌ مؤثر .

بقيل : «يمسك بأوراق الخطاب» . بالطبع سأفعل لاتقلقى، إننى أنوى أن أضع أمام السادة الرفقاء صورة حية لما حدث هنا منذ الليلة الأولى حتى هذه اللحظة .

براسكوليا : نعم كان ذلك فى مساء يوم أحد .

بقيل : مساء أحد أو سبت لليلة الأولى تلك الأهمية

براسكوليا : إذا كنت تبغى أن تتذكر لهم الحقيقة فقد كانت مساء يوم أحد، أنا متأكدة، كنت أود فى هذا اليوم أن أذهب إلى الكنيسة، ولكن هبت عاصفة ثلجية منعتنى من الذهاب فأويت إلى سريرى، وبينما كنت أحاول للمرة الثالثة أو الرابعة سمعت طرقات على الباب «بقيل يبدو شاردا مشجعا براسكوليا بإصغائه على أن تستمر فى سرد الذكريات» فى أول الأمر ظننت أنه كلبٌ صغير، يحاول أن يجد مأوى يحميه من الريح الثلجية، ولكن عندما سمعت شيئا ينقر على النافذة قلت لنفسى : لا يمكن أن يصل الكلب إلى النافذة، وعندما اختلست النظر خلال الستارة، .. يا مريم العذراء، .. ظننت إننى أرى دبا كبيراً أسود، يرتدى معطفك وقد غطاه الثلج ولكن حينما نقرت النافذة مرة أخرى، رأيت يدك، فتحت لك الباب، فدخلت، وظللتُ دقائق لا أصدق إن هذا المخلوق البائس هو أنت . كان يجب أن ترى نفسك يا بقيل شىء لا يصدق .

بقيل : «يشجعها على الاستمرار فى الحكاية» نعم، نعم .

براسكوليا : كانت شفتاك زرقاوين وأصابعك متصلبة من البرد، كنت بالكاد تمسك طبق الحساء الذى كنت أحاول أن أقدمه لك، كان علىّ أن أطعمك كالطفل، وعندما نطقت أول كلمة قلت، .. قلت .. (تحاول أن تتذكر)

بقيل : نعم . استمرى، ماذا قلت ؟؟

براسكوليا : احضرى لى جواربى الصوف، أكاد أن أتجمد .

بقيل : استمرى، ماذا حدث بعد ذلك ؟

براسكوليا : عندما أحضرته لك، احتضنته وانهمرت فى بكاء عميق، وأخذت تشهق، صدقنى يا بقيل لقد كنت تبكى بصوت يمزق القلب، وفجأة وقفت وجلت ببصرك فى أنحاء المنزل، ثم سقطت فاقد الوعى .

«بقيل يحضر لفافة مخبأة بعناية فى مكان ما حيث يعيش، ثم يجلس إلى المائدة، ويمسح يديه فى قميصه، بفخر شديد يفتح اللفافة، فيظهر منها حذاء

صوفياً .

بفيل : يا أمي ، كل مرة أنظر إليه أو المسه أو حتى أفكر فيه ، يطفح من قلبي حزن وإحساس بالذنب يكاد يحطم روحي ، كما حدث من عشر سنوات مضت ، انظري يابراسكوفيا إليه ، انظري إلى النقوش التي رُسمت عليه ، زهور صغيرة وطيور .

براسكوفيا : إن صناعته جميلة بحق .

بفيل : إنها يد أمي الجميلة .

براسكوفيا : كانت تملك يدين في غاية المهارة ولازالت تنظر بإعجاب إلى الحذاء الصوفي، انظر إلى ألوانه ، لازالت زاهية ودافئة ، يجب أن تلبسه يا بفيل قبل أن تأكله الفئران .

بفيل : ألبسه ؟ ! هنا ؟ ! كيف جرؤت على هذا الاقتراح ؟ هذا حرام ، ضميري لايسمح ، لن ألبسه قبل أن أصبح رجلاً حراً ، هذا ما أقسمت عليه بشرفي «بلمل» ومَنْ يدري ربما يكون هذا اليوم قريبا ونسمع على بعد صوت جوقة نحاسية ، تسمع فيها كل آله بوضوح شديد، الفرقة الموسيقية وصلت ، إنهم يستعدون للاحتفال «وقفة ثم بهدوء» أثناء الحرب على الجبهة كانوا يحضرون الهاربين من المعركة ، هؤلاء الذين فروا من الميدان ، ويجلسونهم بالأمر على ركبهم ، ثم يُطلق عليهم الرصاص من الخلف طلقة واحدة في الرأس وينتهي كل شيء دون محاكمة ، كان الدم الأحمر القاني يسيل على الثلج فيلوثه «يرتب أوراقه» صلي من أجلي يابراسكوفيا ، صلي من أجلي .

براسكوفيا : لقد فعلت هذا عدة مرات

بفيل : صلي أكثر وأكثر ... وتمني رحمة الله في صلواتك ، ليس لأنني استحق الرحمة ، ولكن لأنني احتاج إليها .

براسكوفيا : سأركع على ركبتي وأصلي كما لم أصل في حياتي من قبل ، سأصلي حالما تخرج من هذا الباب ولكن للمرة الأخيرة ، هل أنت على ثقة أن ماتفعله هو الصواب ؟

بفيل : نعم ، نعم ، فلنتحدث عن الاحتفال مرة أخرى .

براسكوفيا : مرة أخرى ؟

بفيل : نعم ، ولم لا ؟ بل مئات المرات إذا لزم الأمر ، استحلفك بالله ، فحياتي كلها معلقة بهذا اليوم .

براسكوفيا : لقد أعلن كافة الناس أن عليهم الوقوف في ساحة القرية الساعة العاشرة ، حيث سيبدأ الاحتفال بوصول فيلق المحاربين القدماء ، ثم تلتقي كتيبة البراعم الصغيرة بكتيبة المدفعية ، ويسيرون في الشوارع التي سارت فيها اواتنا من عشر سنوات عندما حققوا النصر العظيم ، . . وبعدما يجلس الجميع سنغني جميعا نشيد الثورة ، ثم يلقي الرفيق عمدة القرية خطاباً يرحب فيه بالجميع ، ثم يقرأ خطاب اللجنة المركزية في موسكو ، وبعد ذلك سنغني الأغاني الحماسية التي تلهب مشاعر الجميع ، حتى يلقي الرفيق الوزير تشومسكي خطابه ، ثم يزيح الستار عن النصب التذكاري للجندي المجهول ، وبعد إزاحة الستار سيقرأ مدير المدرسة أسماء الأبطال الذين استشهدوا في الحرب ، فيصعد أهلهم إلى المنصة للتكريم ، ثم يضعون باقة من الزهور أسفل النصب .

بفيل : في هذه اللحظة ساظهر ، ساظل مختبئا خلف الصفوف في الزحام حتى يقرأ الأسماء ، وعندما يصلون إلى اسمي سأتقدم للأمام وأقدم نفسي قائلا : «سيدي الرفيق القائد العام السادة الرفقاء الحاضرون ، بفيل ايفانوفيتش نالروتسكي لم يمت بل على قيد الحياة ، وهو الواقف الآن بين أيديكم يتوسل إليكم أن تصتوا إلى قصته ثم تحكموا عليه بما يستحق .

براسكوفيا : أنا خائفة يا بفيل !

بفيل : خائفة ؟ وماذا أفعل أنا الذي سأقف أمام آلاف العيون التي تنظر إليَّ وتحاكمني ؟ !

براسكوفيا : أخشى أن يحدث لك مكروه .

بفيل : لن يحدث شيء .

براسكوفيا : يبدو أنك نسيت أن أهل قريتنا يمتلئون خسة وشراً .

بفيل : لقد أخذت القرار يابراسكوفيا ، واتفقنا أن يوم الاحتفال بعيد النصر هو أنسب الأيام التي أسلم فيها نفسي للسلطات ، ومن أدراكِ ، فربما يتأثر أهل قريتنا بجو الاحتفال والموسيقى والخطب الحماسية ؟ وربما تستطيع هذه الأشياء أن تؤثر في مشاعرهم فيغفروا لي مافعلت ؟

براسكوفيا : (بشك وريبة) يغفرون ؟ بوريس راتنسكي يغفر ؟ أركادينا بترولنا تغفر ؟ لقد فقدت زوجها وشقيقها وأولادها الثلاثة في الحرب ، إنهم يقولون أنها تحتفظ في بيتها بصور لأودولف هتلر لتبصق عليها كل صباح عندما تستيقظ !!

بفيل : (يصرخ في يأس) براسكوفيا ، براسكوفيا ، إنني أحاول أن امسك ماتبقى لي من شجاعة مجروحة وروح مهيضة فلا تحطميني ، أرجوك ساعديني أيتها المرأة ساعديني (يهدأ) ليس هناك طريق آخر ، هذه فرصتي الوحيدة ، وليس أمامي إلا الجنون أو الانتحار ، إنني جادٌ يا براسكوفيا ، يوم آخر هنا سيجعلني أذبح نفسي (يشجع نفسه) ولكن هذا لن يصبح ضروريا لأنني أعددت التماساً بليغاً إلى الرفقاء ، أعدك يا براسكوفيا أن أجعلهم يبكون من أجلي في نهاية خطابي (يمسك أوراقه) أين هي ؟ أين هي ؟ (براسكوفيا تشير له أنه يمسكها في يده) آه ها هي . . . اسمعي ، الليالي السوداء الباردة البائسة التي قضيتها سجيناً ياكلني الندم ، ما رأيك في هذا التعبير ؟ اسمعي . . . كنت أتنفس رائحة القبور ، . . براسكوفيا ألم تقولي لي ذات يوم أنني ممثل عظيم ، ولولا القدر لكنت حققت نجاحاً كبيرا على خشبة المسرح ، لقد جاءت الفرصة لأثبت لك ذلك ، إنني على استعداد (يمسك أوراقه) أن أزلزلهم بكلماتي ، أقصد بالإخلاص النابع من كلماتي والصدق ، . . عندما أقف أمامهم مرتدياً بدلتي العسكرية . . . .

براسكوفيا : (تقاطعه) تقف أمامهم مرتديا ماذا ؟

بفيل : بدلتي العسكرية ، التي ستجعلني الجندي بفيل ايفانوفيتش نالروتسكي ، من كتيبة المشاة الرابعة .

براسكوفيا : بفيل . . .

بفيل : نعم بدلتي العسكرية لن تجعلني

عدوا لهم . . .

براسكوفيا : بفيل ولماذا ؟ . . . . .

بفيل : أقول لك لن أكون عدواً ، يجب أن يعاقب بتهمة الهروب من ميدان المعركة ، لن أكون . . .

براسكوفيا : بفيل . . . . (تحاول أن تسكته) لا زالت بدلتك السوداء الجميلة موجودة لقد نظفتها وأعددتها لتكون جاهزة .

بفيل : بزتي ! ؟

براسكوفيا : نعم ألا تذكرها بدلة زواجنا

بفيل : بالدايم اذكرها ، ولكنني أنوى أن أرتدي بدلتي العسكرية

براسكوفيا : بفيل من فضلك . . . أرجوك

بفيل : ليس لدينا وقت لهذه المناقشات السخيفة ، أرجوك أن تفهمي أنني سأسلم نفسي ، والجندي لا يسلم نفسه وهو يرتدي بدلة زفافه !!

براسكوفيا : أرجوك أنصت إليّ يا بفيل . . .

بفيل : لماذا تضايقينني يا براسكوفيا ؟ لماذا ؟ هل لابد أن نتناقش ونتشاجر حول كل شيء ؟ أرجوك ، رأسي مثقلة بما يكفي من المشاكل ، . . الآن اذهبي وأحضري الزي العسكري ، هيا ، تحركي «براسكوفيا تترك الزريبة بخطوات متثاقلة ، بينما يجلس بفيل وهو يمني نفسه» الشجاعة يا بفيل . . . الشجاعة ، المسألة قد اقتربت بطريقة أو بأخرى ، ولكنها قد اقتربت «يجول ببصره في الحظيرة موجهاً كلماته إلى الخنازير» سأترككم حالا ، هل تسمعون ذلك يا أكلة القمامة ، عليكم أن تبحثوا عن صحبة أخرى تصبون عليها عذابكم القرف ، ولكن باسم الأيام التي تقاسمنا فيها هذا المكان أودعكم ، بفيل ايفانوفيتش ناروتسكي سيودعكم حتى آخر قطرة من أعماقه ، وليس لديه ما يقدمه لكم إلا تقززه واشمئزازه . «ينتزع عصاه ويوسع الخنازير ضرباً حتى يشعر بنوع من الارتياح ثم ينهال على الخنازير ضرباً مرة أخرى حتى يشعر بالإرهاق ،

ولكنه يبدو سعيداً لأنه سيترك هذا المكان القذر ، تدخل براسكوفيا صامتة ومرتعدة وتمد يدها بلفافة صغيرة إلى زوجها ، فيفتحها لتظهر منها بقايا بدلة عسكرية أكلتها الفئران ، كاب ، سترة ممزقة ، بنطلون مهلهل» ما هذا يا براسكوفيا !! ؟

براسكوفيا : لقد حاولت أن أخبرك

بفيل : براسكوفيا !!

براسكوفيا : هذا هو كل شيء ، أنت محظوظ لأن الفئران تركت منها شيئا ، عندما أعطيتها لي أمرتني أن أحرقها ، ولكنني وضعتها في دولاب قديم ، وكلما أخرجت خرقة منها أخذتها «وصوتها ينخفض» لم أكن أعرف أنك ستحتاج لها يوما .

بفيل : تريدين أن تقولي . . . . . .

براسكوفيا : نعم .

بفيل : ماذا تعنين بنعم ؟

براسكوفيا : ما أخبرتك به

بفيل : تعنين أن . . . . .

براسكوفيا : نعم أعني أن هذه هي بدلتك العسكرية ، أقصد ما بقي منها .

بفيل : ولكن الأزرار النحاسية لا زالت لامعة ، ما هذا لقد سقط منها بعض الأزرار ، هل التهمتها الفئران أيضا ؟

براسكوفيا : لم يكن هناك أزرار موجودة عندما عدت إلى البيت في تلك الليلة .

بفيل : هل أنت متأكدة ؟

براسكوفيا : نعم .
«بفيل صامت وفي حالة ذهول وهو يفحص الخرق الباقية من بدلته العسكرية»
لقد قضمتها الفئران «بفيل يلقي ما تبقى من بدلته العسكرية ، براسكوفيا تهز رأسها بينما يضع بفيل الكاب فوق رأسه ويؤدي التحية العسكرية ، براسكوفيا تهز رأسها مرة أخرى»
شيء مضحك ، شيء مضحك «بفيل يبدو منهاراً» اسمع نصيحتي ارتد بدلة زفافنا السوداء ، لقد جهزت لك قميصاً أبيض نظيفا وحذاء أسود لامعا ، ستبدو أنيقاً ستكون الرفيق بفيل ايفانوفيتش بدلاً من الجندي ناروتسكي ، الرفقاء سيرون شخصا محترما ورصينا وقد يكون هذا الأمر في صالحك .

بفيل : بالله عليك يا براسكوفيا ، ألا تفهمين أبداً ؟ إنه احتفال عسكري ، مناسبة عسكرية كبرى ، ولا يمكن أن يحضرها هارب من ميدان المعركة ببدلة زفافه ، وإذا عقدوا محكمة عسكرية سيسألني الرفيق لماذا لا ترتدي ببدلتك العسكرية أيها الجندي ؟ فماذا أقول لهم : زوجتي مسحت بها الأرض والفئران جعلوا منها وليمة دسمة ؟ هل هذا كافٍ لأن ينقذ رأسي من فرقة الإعدام «تحاصره الشكوك» لا . . . لا . . . لا . . . لا . . . انتظري ، دعيني أفكر ، . . «يمشي في قلق» دعيني أعيد الموقف في ضوء التطورات المفاجئة «يهدأ بعض الشيء» لابد أن هناك حلاً سهلاً ، . هناك حل سهل ، . أقول لك : افترضي أنني كنت على خطأ يا براسكوفيا .

براسكوفيا : أي خطأ ؟ عما تتحدث ؟

بفيل : أتحدث عنهم «يشير إلى الخارج» قد أكون مؤمناً بالطبيعة البشرية السمحة ، وقد تكون ثقتي في رحمة السادة الرفقاء المسئولين وقلوبهم الكبيرة «يبتلع ريقه» ولكن من الجائز أيضاً أن تكون قناعتي وثقتي بهم مجرد وهمٌ كبير فبدلاً من التسامح والغفران الذي انتظره بعد سماع قصتي لا ألقى منهم إلا الاحتقار ، فربما ذكرتهم لحظة ضعفي التي مررت بها منذ عشر سنوات بخيبة أمل كبيرة لا يحبون تذكرها أو الاعتراف بها على الملأ في يوم النصر .
أنتِ محقة يا براسكوفيا الكسندروفنا ، أنتِ محقة في شيء واحد فهؤلاء الذين يتكدسون في الخارج ليسوا ملائكة اجتمعوا حول نشيد الخلاص فالحقيقة أننا نعلم الكثير حول هؤلاء الرفقاء المحترمين لن يكون للرحمة مكان ، إن معتقداتي عن أفكارهم ومشاعرهم مرهونة بالبقية الباقية من إحساسهم بالانسانية والرحمة في قلوبهم إذا ما كان هناك بقية باقية ولكن معرفتنا بطبيعتهم القاسية تجعلنا نحتاج إلى معجزة «يضرب رأسه بيده» غبي ! غبي ! غبي ! إنني هنا منذ زمن طويل كان كافيا لأن أنسى الطبيعة البشرية ، الغفران والتسامح ؟ ! لقد تحملت الكثير من أجل هذه اللحظة وها هي تهرب مني «صوت الموسيقى النحاسية يرتفع» .

براسكوفيا : ماذا أفعل يا بفيل ؟ فأصواتهم

ترتدى ، وأنا لا أفهم ما تقول ، فإذا أنت تقرر الخروج الآن ، أو لا شيء ؟ ومقاومة هل أستحق يا بافيل ؟ اللحظة مواتية فهل ستخرج ؟

بافيل : ويضوء ، لا أستطيع . لا أستطيع ، فلن أحمل على هذه العادة ، بل إن يعلمون الفرصة لا تحكى ، فمستقبلى ، إن يعودوا ، فيا أن أنا أقول أمامهم وأخاف من أن يقفوا على مثل هذه الأشياء ، موسيقية ويرقصون ، إنها أيضاً الأوراق التى كتبوا عليها أسمائهم .

براسكوفيا : هذا هو قرارك إذن ؟

بافيل : نعم هذا هو قرارى ، والآن عليك أن تؤدى دورك .

براسكوفيا : أنا ! ! !

بافيل : نعم أنت فاستعدى .

براسكوفيا : ماذا تعنى ؟

بافيل : ارتدى فستانك الأسود ، وامسكى بعض الزهور ، فهى جنازة مهيبة تستحق العناء ! وعندما تسمعينهم ينادون على اسمى بين أسماء الشهداء اذرفى الدموع الحارة لأن زوجك يرقد الآن فى قبره ! !

براسكوفيا : (بعصبية) هل تريدنى أن أخرج وأتظاهر أمام الناس بحزنى على وفاتك !

بافيل : أليس هذا ما تفعلينه طوال عشر السنوات الماضية ؟

براسكوفيا : نعم ، إنها الحقيقة . . . ولكن ليس على الملأ ، ملابس حداد ، وزهور ، وموسيقى نحاسية !

بافيل : هل تودين التخلص من هذا الوضع ؟

براسكوفيا : نعم ! أقصد لا ! أعنى إذا كنت تريدنى أن أخرج الآن سأفعل ، ولكن لا تنس أنى فزعة من ذهابى للخارج مثلك ، ويبدو أنك لا تدرك هذا ، فلم أعد أحتاد الناس بسهولة ، فلا شىء يربطنى بهم ، التعامل الوحيد الذى يدفعنى للخروج من هذا المكان عندما أقتاد أحد الخنازير إلى الجزار ليذبحه ، هذه الخنازير هى العلاقة الوحيدة التى تربطنى بالعالم القابع خارج هذا المكان ، أنا سجينة هذا المكان مثلك تماماً .

بافيل : لا تضيعى الوقت يا براسكوفيا فإذا لم تكونى موجودة عندما ينادون على اسمى سيرتاب الناس من غيابك وعندئذ تبدأ الأسئلة وبراسكوفيا تتحرك على مضض إنى أحذرك من الآن فصاعداً عن الأشياء جدائك على موتى قبل أن يحل المساء .

براسكوفيا : لا بأس سأذهب للاحتفال ، ولكن دعنى أذكرك إن هذه المشاعر القبيحة خطيئة كبرى ، والتستر على هروبك كان جزءاً منها ، أما الجزء الأكبر فهو ما تطلبه منى ، سأذهب للاحتفال هل تريد شيئاً منى ؟ !

والفزع والمخاوف تملأ قلبها ومن بعيد تسمع صوت الآلات الموسيقية .

بافيل : ويمسك بيده حذاءه الصوفى ، آه يا أمى هذا الذى فعل كل شىء ، هذا الشىء كان خطيئتى ، أتعرفين لماذا ؟ لأنك نسجت بين خيوطه حباً لبافيل الصغير غير عابئة بما سيفعله هذا الحذاء الصوفى فى حياته ، أو أنك تودين من قبرك ستلعنين اليوم الذى غزلت فيه يداك الرقيقتان الطاهرتان هذا الشىء وزفرة بائسة فى البداية كان الأمر بسيطاً أعطونى بزة عسكرية وبندقية ، وعلمونى كيف أحمى قادتى ، كان ذلك يوماً ربيعياً هادئاً .

فجأة قبلت زوجتى قبلة الوداع وسافرت وزملائى كى نكسب الحرب ، ولكنى كنت أفكر فى هذا الشىء وبمسك الحذاء الصوفى بعد أسابيع كنا قد سافرنا على أقدامنا مسافة طويلة وبعيدة عن الوطن ، ماتت الضحكة فى القلب بعد أن قيلت كل النكات ، وقصت كل الحكايات فى الليالى الباردة السخيفة الصامتة ، قطع هذا الصمت رجل له عيون يسكنها الشوق للوطن يجلس بجانب النار : هيا يا بافيل احك لنا عن حذائك الصوفى ، فأتحدث عنه وأسهب كل ليلة وقد ملأنى الوجد لأن تعرف قدماى الدفء المفتقد فى الليالى الباردة ، فأتذكر حينما كنت ألبسه وأجلس بجوار زوجتى أمام المدفأة ونحن نتحدث عن الطقس غداً أو عن الخنازير أو عن آخر إشاعات قريتنا ، انهضى يا أمى من قبرك وتصورى أن هذا الحذاء الصوفى الحقير قد حطم قلب رجل فى الشتاء بعيداً عن وطنه .

مر الشتاء الأول ولم يكن شيئاً ولكننا لم نعد ، قال بعض الجنود : . . . الربيع . . . ولكن الربيع . . . ولم نعد ، فقال البعض : . . . الربيع القادم ولكن لم نعد .

من عام لآخر الطول ، تتساقط فيه الثلوج وأغنيات النصر تقول : إلى يوم العودة بعيد ، لم أشهد مثل هذا الثلج فى حياتى ولا مثل هذا البرد ، ورياح كالسكاكين تقرص جلودنا وتخترقها حتى يرتد عظامنا البرد ، كانت الأيادى بالكاد تحمل الحطب كسرة خبز جافة تأكلها لنقاوم الموت . . . ولماذا ؟ من أجل أى شىء نموت من الجوع والبرد والدنيا بيوت دافئة وزوجات ينتظرن ؟ كل هذا الغباء كان يدفعنى لأن أتقيأ ما فى بطنى الخاوية فجأة تذكرته ويقصد الحذاء الصوفى إلى صدره تذكرته وقد فقد براءته وصار يطاردنى ويطاردنى فى كل لحظة ، وأنا جسد محطم داخل الخنادق ، تبدأ لى صورته ، وتطافوا على سطح عقلى المرهق ، حياة كاملة تتجسد ، رائحة الحطب ، صوت جزع شجرة تتكسر لتوضع فى المدفأة ، شرائح الخبز الساخنة والزبدة الطازجة ، ورغم كل ذلك كنت قادراً على الصمود حتى جاءنى صوت صغير يدوى فى أذنى : بافيل ايفانوفيتش فأقاومه ولكن يعود فيهمس مطارداً : بافيل ايفانوفيتش عُد إلى وطنك ، كان هناك شىء ما منى يفضحك على ولائى الكاذب الذى يدعو إلى السخرية ، فالموت لا يعرف أعلام الوطن الخفاقة ولا الرايات المتعصبة ، ليس هناك إلا القبر .

ولا شىء يكون خلف رحلة البارد . كان الصوت لا زال يصرخ فى أذنى : بافيل ايفانوفيتش عُد إلى بيتك الحذاء الصوفى ينتظرك هيا عد . . . عد ، وتسمع من بعيد صوت الموسيقى النحاسية والأغنيات الوطنية أخبرينى يا أمى بحق العذراء : هل أخطأ بافيل عندما أستجاب لهذا النداء المتعود ؟ هل أخطأ بافيل عندما سقط أمام الاغراء ؟ كان الظرف قاسياً فوق طاقة البشر ، جوع وبرد وجنون ، لم أكن أحتاج إلا لليلة واحدة بجوار المدفأة أضع فيها أقدامى التصابية فى حذائى الصوفى وبعدها أكون مستعداً لأن أقدم حياتى فداء

للوطن ، ولكنى عندما أفقت بعد الليلة الأولى أخبرتنى زوجتى أن شهرا كاملا قد مر ، لم يكن هناك فرق ، اليوم مثل الأسبوع مثل الشهر ، هى مجرد أرقام فى الجيش ، تقود إلى نتيجة واحدة ، رصاصة ساخنة فى الرأس وتدخل براسكوليا إلى الزريبة ؛ وهى فى غاية السعادة والرضا .

ترتدى فستاناً أسود ، وتحمل فى يدها علبة سوداء فاخرة وعلما أحمر .

براسكوليا : أبشر يا باشا ، أبشر ، كل شىء على ما يرام ، هل تريد أن تعرف كل شىء ؟

(بفيل ينظر إليها صامتاً فتقدم له صندوقا من القطيفة السوداء) هذه أول مفاجأة لقد منحوك وسام التضحية من الدرجة الأولى (تخرج الوسام وتقرأ ما عليه) بفيل ايفانوفيتش نالروتسكى بطل الشعب ، . يجب أن تفخر بك أمك يا بفيل ، فقد نقش اسمك على النصب التذكارى كما قال الرفيق تشومسكى فى خطابه ، فقد فعلت الصواب ببقائك هنا وإلا واجهت لحظات مرة لو أنك خرجت من هنا وخاصة بعد ما قاله الرفيق تشومسكى عنك !! فى خطابه التاريخى الذى استهله بقوله : أبناء ثورتنا المجيدة ،

علينا أن نأخذ درساً فى التضحية من هؤلاء الرفقاء الشهداء ، الذين نقشت أسماؤهم بحروف من ذهب لتقرأها الأجيال القادمة فإذا كان هذا العالم الذى نعيش فيه آمناً فذلك بفضل هؤلاء الأبطال .

الشهداء وعلى رأسهم الرفيق الشهيد بفيل ايفانوفيتش الذى ضحى بحياته من أجلنا من أجل هذا التراب ، فعلينا الآن أن نقف جميعا لنشكره ونعترف بجميلة هو ومن مثله من الشهداء الأبرار ، الأبطال الشجعان الذين قاوموا الفاشيست الدمويين ، إن أبناءنا وأبناءهم وأبناء أبنائهم سيعيشون فى عالم يتسع لهم جميعا بفضل بفيل ايفانوفيتش والرجال الخمسين أبناء قريتنا ، اللذين فاضت أرواحهم فى سارانتس وهم يدافعون عن ثورتنا المجيدة فى شتاء ١٩٤٣ ، بفيل ايفانوفيتش لا أجد فى نهاية خطابى الكلمات المناسبة رغم أنك ترقد فى مكان ما فى مقبرة غير معروفة إلا أن ذلك لا يقلل من شأنك لأن ذكراك العطرة قد حفرت للأبد فى قلوب الناس (براسكوليا تخرج الوسام من العلبة القطيفة السوداء وتعلقه فى صدر بفيل) هذا بعض ماحدث يا بفيل ، ولا أستطيع أن أصف لك ما فعله الرفقاء ، فقد بكوا جميعاً من أجلك ، كان منظراً لاينسى ، فبعدما استلمت الوسام ، وعدت إلى الصفوف ، وضعت باقة من الزهور على النصب التذكارى ، كان شيئاً مروعا .

لقد تمنيت ساعتها أن أدفن خجلى فى هذا القبر وخاصة عندما قلت : إلى حبيبنا بفيل ايفانوفيتش وما أن نطقت بهذه العبارة حتى دفن العجوز (سمتالوف) رأسه الأصلع بين أكمامه وانخرط فى بكاء مرير ، ليس وحده ولكن الجميع كان يبكى-تماما .

جيلينا ، انستازيا ، . . كلهم يا بفيل كانوا يبكون عليك ويشكرونك (بفيل يعطيها ظهره) صدقنى إننى لا أبالغ فى وصف المشهد ، وقد حمدت الله كثيرا أنك لم تخرج فهناك الكثير من الناس كان سيحبطهم جدا ظهورك المفاجىء ، كنت متقطع لحظة حزن عميق (وقفة) هل تريد أن تعرف أغرب شىء يا بفيل ، لقد جاءت علىّ لحظات من شدة الحزن تصورت فيها أنك مت !! نعم مت وحيدا بعيدا عن وطنك ، لهذا فقد بدأت أبكى مثلهم ، وأعيش اللحظة وخاصة فى أعقاب الخطاب الرائع للسكرتير الأول الرفيق تشومسكى ، لقد صدقت أنك مت (تمسح الدموع التى طفرت فى عينيها) أنظر إننى من الممكن أن أبكى مرة أخرى .

بفيل : هل انتهيت من وصف المشهد ؟

براسكوليا : ليس هذا كل شىء ، ولكنى لا أحب مضايقتك ، هناك شىء لو لم أحكه لك سيظل يؤرق ضميرى .

بفيل : ما هو ؟

براسكوليا : عندما انتهى الاحتفال أصر العجوز (سميتالوف) أن يصطحبنى فى طريق العودة إلى المنزل ، وفى الطريق طلبنى للزواج أو هذا ما اعتقد على الأقل .

بفيل : أنا لا أفهم أفصحى ؟

براسكوليا : لقد قال لى : سيكون منظراً رائعاً أن نضع خنازيرك وأبقارى تحت سقف واحد ، ثم أكمل : سيكون هذا الأمر نهاية سعيدة لأحزان الأرملة نالروتسكى ، لم أستطع يا بفيل أن أتخلص منه ، وسوف يأتى الأسبوع القادم ليسمع ردى فى هذا الموضوع (ترسم علامة الصليب) ليشملنا الله برحمته أشعر أن الله سيحرق قلبى فى جهنم جزاء ما فعلناه اليوم .

ولكن نار جهنم أهون من نار الرفقاء إذا علموا أننا كنا نخدعهم ، لقد كذبنا عليهم يا بفيل لقد كذبنا على الرفيق السكرتير الأول على الملأ ،

وسخرنا منهم ، ومن حماقتهم فى ذكرى يوم النصر ، وهم لن يغفروا هذا الأمر ولن يسامحوا .

بفيل : أنا لا أصدق ، هل سأظل هنا مثل هذه الخنازير ليس أمامى إلا الأكل والنوم والإحباط والإحساس بالذنب الذى لايتضاءل بمرور الزمن ولكنه يزداد يوماً بعد يوم كأنه يتغذى على عذابى والامى ؟ هل سأظل هنا مثل عش الغراب الذى يتفتح وينضج وسط الروث ؟ هل ينتهى الأمر إلى يا براسكوليا ؟ هل مستقبل حياتى هو زريبة الخنازير ؟ أو مكان مع الخنازير ؟

براسكوليا : لا أستطيع أن أجيبك يا بفيل ، لا أستطيع فأنت كمن يسأل عن منطق الآلهة وهى توزع الأقدار على البشر !!!!!!!

بفيل : ألا تعنى عشر سنوات من بؤس وألم فى حياة إنسان شيئاً بالنسبة لموازين العدل ؟

براسكوليا : ولا أستطيع أن أجيب عن هذا السؤال ، إنها أشياء أكبر من عقل امرأة مثلى (وقفه) والآن سأتركك لتسأل نفسك هذه الأسئلة التى لا قبل لى بها (تنهض لتخرج) .

بفيل : إلى أين ؟

براسكوليا : سأغير ملابسى وأعود للعمل ، الاحتفال قد انتهى ، وهناك الكثير الذى ينتظرنى

بفيل : (ينظر إليها غير مصدق) بهذه السهولة ؟

براسكوليا : أية سهولة ؟

بفيل : التى تذهبين بها بعيداً وتتركينى هنا ، بهذه السهولة ؟

براسكوفيا : الحياة تسير يا بفيل لن تتوقف

بفيل : حياة مَنْ ؟

براسكوفيا : حياة كل الناس على ما أعتقد

بفيل : وحياتى أنا أيضا ؟

براسكوفيا : إننى أصلى لك حتى تسير حياتك أيضاً .

بفيل : «بسخرية» أشكرك على هذه المعلومات يا براسكوفيا ، فهذا يعنى أن حياتى ستسير ، كم هذا مدهش ، كم هذا مدهش ، ولكنى أفكر فى كم التحديات الممكنة الملقاة على عاتقى هنا ، الحقيقة أن الخنازير ستكون شغلى الشاغل ، أليس كذلك ؟ «يغرق فى عصبية ملحوظة»

ولكن ماذا أفعل بها ؟ هل أكون قسيسا لها ؟ إننى جاد ، ربما تملك هذه الخنازير طاقة روحية طيبة تختفى داخل جبال الشحم الجاسمة على ظهرها !! لا بأس سأكون قسيسا طيباً يخرج هذه الطاقة منها ، سأعطيهم أولا أسماء مسيحية ثم أقرأ عليهم من الإنجيل حتى أصبح «بفيل قديس الخنازير» يبدو أنك لا ترحبين بهذه الفكرة ، لا بأس دعينا منها ما رأيك أن أعلمها السياسة فهذه الزريبة فى حد ذاتها حالة سياسية فربما نجد فى هذه المخلوقات الخرساء امتيازات تجعلها أحسن طبقة بروليتارية فى العالم ، إننى أستطيع جمع شملها لتصبح عناصر هدامة يحكمها صراع طبقى يجعلها تتمرد وتثور تذكرى بعد ذلك وأنت تقودين أحد الخنازير إلى الجزار أنك تمسكين فى يدك ثائرا صغيرا ترى هل أكون بذلك قد غطيت كل التحديات الممكنة ؟ أرجوك يا براسكوفيا قولى شيئا قبل أن تذهبى لتقشرى البطاطس ؟ قولى شيئا قبل أن تذهبى لتقلمى الأزهار ؟

براسكوفيا : لقد قشرت البطاطس هذا الصباح وقلمت الأزهار بالأمس ، أما إذا كنت تريد الحقيقة فإن ورائى كومة من الملابس القذرة التى تنتظرنى ، فهذا يوم الغسيل ، لذا فعلى أن أذهب الآن

بفيل : بهذه البساطة !؟

براسكوفيا : نعم بهذه البساطة .

«براسكوفيا تخرج ويجلس بفيل وحيداً بينها الخنازير تتزاحم حوله» .

(إظـــــلام)

المشهد الثانى : الجمال والوحشية :

المكان الزريبة ، مر وقت طويل ، صوت مجموعة من الخنازير ، فى حالة من اللامبالاة يهش الذباب ، ينظر حوله فى ريبة ، ثم يمسك بأشلاء حذائه الصوفى ، ويضع «فردة» منه فى قدمه ، عينه تقع على ذباب ميت على المنضدة فيمد يده إليه ويبدأ العد ، يذهب للحائط إلى حيث الأرقام التى يخطها على الحائط ، فيجد أن أعداداً كبيرة من الذباب الميت خطت النتيجة الخاصة به ، يكتب على الحائط رقم ٩٧٦٢ ثم يضيف عليها ٢٣ لتصبح ٩٧٨٥ بعد لحظات يبدأ فى هرش جسده ، ثم يتوقف ، ويذهب إلى عصاه ليلتقطها ويضرب بها الخنازير ، يتوقف فجأة ويبدو كأنه لايصدق ، . . فراشة ملونة دخلت إلى الزريبة ، يتغير مزاجه سريعا لمجرد رؤيته للفراشة وهى تطير ، يضحك ويبدو مأخوذاً بجمالها ، فهى تذكره بعالم كاد أن ينساه ، عالم تغمره الشمس بضيائها ، والزهور بأريجها الفواح ، عالم يره منذ سنوات جد بعيدة ، ينادى على براسكوفيا ثم يقرر أن يمسك بالفراشة ، يبحث عن حذائه الصوفى ليجعل منه شبكة يمسك بها الفراشة ، ثم يبدأ فى البحث بصوت مرتفع ، يطارد الفراشة محاولاً اصطيادها ، يحاول أن يتسلق جدران الزريبة ولاتزال الفراشة تراوغه ، تعلو ضحكاته ، وتعلو ، ثم يتوقف فجأة .

بفيل : (بدهشة) ما هذا ؟ يمكن أن يكون حقيقة ؟ هل أنت الذى يضحك يا بفيل ايفانوفيتش ؟ (يسأل نفسه محاولاً الاقتناع) نعم أنت الذى يضحك يارفيق بفيل ، إنها حقيقة ، والفراشة حقيقة جميلة أحاول أن أمسك بها (يسترسل فى ضحكاته) براسكوفيا ، إننى أضحك (يمسك بحذائه الصوفى ويبحث عن الفراشة) يجب أن تخرجى من هنا ، أيتها المخلوقة الجميلة الملونة ، هذا المكان لايتسع لجمالك ، أين تختبئين أيتها الصديقة الصغيرة الملونة ؟ إيه أين أنتِ ؟ أرجوك . . . . . (يبحث عنها) . . . يا إلهى لاتموتى هنا ، دعينى أعيدك إلى عالمك الجميل ، إلى الزهور ونسائم الصيف ، . . . إننى أتوسل إليك أن تحملى معك قبضة من روحى أو همسة من قلبى إلى ضوء الشمس ، (يبحث عنها) فلتكون خلاصى أيتها الجميلة الملونة ، فلتكونى خلاصى ، هه ! (تقع عينه عليها وهى واقفة فوق خنزير فيتجمد فى مكانه ثم يقترب منها بحرص محاولا أن يمسكها ، يتوقف فجأة وعيناه ممتلأن بالرعب ، وهو يتوقع كارثة ، لا ، لا ، أرجوك ، لاتفعل (الخنزير يلتهم الفراشة ، يتجمد فى مكانه ، ثم يعود بخطى متثاقلة ، فجأة يصرخ) قاتل ، قاتل (يخرج سكينا ثم يقفز على أحد الخنازير وبعد مقاومة يقتله ، ضوضاء شديدة وقد خيمت على المكان رائحة الموت ، تدخل براسكوفيافتجد أمامها الدم ينهمر وبفيل ينخرط فى بكاء مرير) .

براسكوفيا : بفيل . . . بفيل

بفيل : الكل باطل ، الكل باطل وقبض ريح .

براسكوفيا : (تنظر إليه) ياه . . ، يا إلهى ! ما الذى حدث ؟ هل حاولت أن تقتل نفسك ؟ (تفحصه بلهفة وهو مايزال يبكى)

بفيل : لا . . ، . . لا .

براسكوفيا : أليس هذا دماً ؟

بفيل : نعم ، إنها روحى يا براسكوفيا ، روحى تنزف .

براسكوفيا : ولكن هناك شيئا آخر ينزف (تتابع بعينيها خيط الدم على الأرض، حتى تصل إلى الخنزير المقتول) ما هذا ؟ ! انظر ؟ هل أنت الذى قتلته ؟ (تبدو غير مصدقة) أنت ؟ ! (تحضر دلواً به بعض الماء وقطعة قماش وتساعد بفيل فى تنظيف ملابسه من الدم) ما الذى حدث ؟ احكِ لى لماذا حدث واحداً ؟

بفيل : (لا يستجمع ذاته) فراشة يا براسكوفيا ، فراشة سعيدة جميلة مسالمة لا تحمل ضغينة لأحد ، لها أجنحه ملونه ، هل تذكرين الفراشات الملونة التى كنا نرقبها ونحن أطفال ، وهى تطير فى حقول الذرة وبين الزهور ، هل تذكرين تلك الفراشات ؟

براسكوفيا : (بدهشة) نعم أذكرها .

بفيل : جميل ، أن تتذكرى شيئاً جميلاً ، واحدة من هذه الفراشات دخلت إلى هنا بطريقة ما وأخذت تطير ، . تطير هنا وهناك ، فقلت لنفسى : سأحاول أن أمسكها وأخرجها من الزريبة فهذا ليس مكانا ينبغى لفراشة أن تطير فيه ، حاولت أن أمسك بها ، ظللت أطاردها ، وعندما أوشكتُ أن أمسك بها ، أحسست أن شيئا

بالداخل قد مات منذ زمن بعيد ولكنه في هذه اللحظة يعود إلى الحياة ، أحاسيس غريبة تطفو على سطح ذاكرتي فتضحكني ، لقد كنت أضحك من قلبي هل تصدقين يا براسكوفيا ؟ إنني ضحكت ، ... لقد ضحكت في هذا المكان !!

براسكوفيا : تمنيت أن أكون هنا لأشاركك ضحكك

بقيل : لقد ناديتُ عليك كثيراً .

براسكوفيا : نعم لقد سمعت ضحكاتك ، كانت رائعةً ولكن ماذا سنفعل بالخنزير المقتول ؟

بقيل : لا تقاطعيني أيتها المرأة .

براسكوفيا : (بألم شديد) إني أعتذر

بقيل : الفراشة الصغيرة . . . .

براسكوفيا : نعم !!!

بقيل : كنت أطاردها وأضحك ، كنت أتلصص عليها كما لو كنت طفلاً صغيراً ، لقد ذكرتني بالحقول والمروج التي كنت أمرح فيها والعب بين الزهور والطيور الشادية ، كان كل شيء حولي حاضراً ، السماء الزرقاء ونسمات الخريف الجميلة التي تدور بالرأس . . . .

براسكوفيا : هذا شيء جميل يابقيل

بقيل : نعم ، ليس هناك أجمل من فراشة ملونة وطفل صغير ، الجمال والبراءة (وقفة) انظري أين انتهى بي الأمر . . . . في زريبة خنازير !!

براسكوفيا : (وقد فهمت مشاعره أخيرا) مسكين يا بقيل ، . . أنت مسكين يا عزيزي .

بقيل : (يومىء رأسه بالنفي) الجمال والبراءة اجتمعا مع الوحشية (ينفعل مرة أخرى) كان شيئا مروعا ، لقد رأيتها تقف على رأسه ولكن لم يكن بيدى شيء ، لم استطع أن انقذها ، فقد صوب الخنزير عينيه السوداويين إليها ، وهز أنفه ، وقبل أن أمد يدى إلى الفارشة سبقني ففتح فمه الكريه والتهمها (يبكي) .

براسكوفيا : لا يحرق قلبك عليها يا بقيل ، فقد حاولت جهدك ، وسيجازيك الله خيرا عن محاولتك .

بقيل : لن يفعل الله شيئا من هذا القبيل ، الله لا يعلم شيئا عن هذا المكان !!

براسكوفيا : (كمن لا تصدق ما سمعت) بقيل ماذا تقول ؟

بقيل : وإذا علم فلن يفعل شيئا

براسكوفيا : بقيل ايفانوفيتش ماذا تقول ؟

بقيل : أقول إن الله ليس له سلطة على هذا المكان ، هل تعرفين لماذا ؟ لأن هذا المكان هو جهنم بعينها ! نعم إنى أعرف أين أعيش ، هذه جهنم !! او مملكة المغضوب عليهم .
هذا جزء من عقابي يا براسكوفيا ان ارى الوحشية تلتهم الجمال ، ثم «طز» . . . .
«طز» . . . «طز» . . . هذا جزءٌ من عقابي أن أرى الخنازير تأكل البراءة ثم تتبرزها ، لقد وصلت إلى النهاية يا براسكوفيا ، وربما كانت ضحكاتي تعني أن الموت سيخطف روحي

براسكوفيا : توقف يا بقيل ، أعلم أنك حزينٌ جدا ، ولكن لا تبالغ فى حزنك ، فلا يمكن لإنسان أن يكون فى مكانين فى وقت واحد أبداً !

بقيل : ماذا تعنين بكلماتك ؟

براسكوفيا : اقصد إنه لايمكن أن تكون حياً وفي جهنم فى آن واحد .

بقيل : ولِمَ لا ؟

براسكوفيا : لأنك لو سألت طفلاً صغيراً فسيعرف أن جهنم المكان الذى يذهب إليه الناس بعد الموت

بقيل : (بشيء من المرارة) لقد وصلنا الآن إلى مفترق الطرق .

براسكوفيا : لقد ظننت أنك تريد الحقيقة يا بقيل .

بقيل : شيء جميل ، أنا أريد الحقيقة ! لأن ما تسمينه الحقيقة هو نستطيعُ الحقائق فلسفية ولأخلاقيات معزوفة ، تسطيح يصل إلى حد التفاهة العائلية .

براسكوفيا : لا بأس ، لكل منا طريقته فى التفكير ، ولكن حتى لو أدى ما سأقوله لغضبك فعليك أن تعلم أننى الأسبوع الماضى اضطررت إلى توسيع بنطلونك لأنك أصبحت سمينا ، والآن تقتل خنزيراً كبيراً بيديك وهذا يساوى عندى موت رجل .

بقيل : أنا لا أتكلم على مستوى المادة ولكننى أعنى الروح الداخلية ، هل تسمعين هذا ؟ كنت أتكلم عن روحي .

براسكوفيا : آه لقد فهمت .

بقيل : أنت لم تفهمى شيئاً . ولا ترين شيئاً ، فالقيمة المأساوية لما يحدث هنا أمر خارج عالمك (يذهب للحائط حيث الأرقام التى يعدها بالذباب الميت) انظرى ، انظرى إلى ما وصلت إليه ، انظرى إلى وإلى ما انتهت إليه حياتى ، تسعة الآف وسبعمائة وخمسة وثمانون ذبابة ميتة ، إن الحياة لا توهب إلا مرة واحدة على هذه الأرض ، وهى تمضى من حولى بينما أجلس فى ملل إلى هذه المائدة وأهش الذباب ، حتى عندما يصل الضجر إلى منتهاه فما الذى أفعله كى أرفع روحى المعنوية ؟ أضرب هذه الخنازير وأحقد عليها لأن حياتها تفوق قيمة حياتى ، هذه هى الحقيقة ! فهى على الأقل لها غرض محددٌ ، قد يكون حقيراً نعم ولكن اللحم والمورتاديللا والسلامى يجعل لوجودها معنى أكثر قيمة من معنى حياتى ، إنى أقول الحقيقة يا براسكوفيا ولا أضلل نفسى ، فهل أنا الآن ذلك الرجل الذى تزوجته ؟ بالتأكيد لم أعد هذا الرجل ، لم أعد مادياً جاداً فى عملى بل صرت رجلاً خرباً خاصمت الأحلام قلبه ، تذكرى الليلة الأخيرة قبل أن يسوقونى إلى الحرب عندما كنا نستلقى فى فراشنا ونتحدث عن مستقبلنا ، هل تذكرين الأمانى التى كنا ندخرها لأسرتنا الصغيرة ؟ زريبة كبيرة تتسع لعدد كبير من الخنازير ؟ هكذا كنت ، والآن انحصرت سعادتى فى أن أدهس الذباب على حافة المائدة ، أى طموح هذا ؟ الذى يدور حول الذباب الممزق ؟ (يجول ببصره فى أنحاء الزريبة) وكل خوفى أن أفقد عقلى (بابتسامة باهتة) وربما كان هذا الأمر هو النهاية السعيدة مقارنة بالأيام المقبلة التى تنتظرنى ، أقصد العقاب الذى ينتظرنى يا براسكوفيا ، العقاب الذى سيفقدنى روحى ، وسأصبح أقل شأنا من الحيوان الذى قتلته ، ترى هل ستعترض الفراشات الجميلة طريقى مرة أخرى (يتخيل الذباب كما لو كان فراشات جميلة . وقفة) انظرى سأستخدم حذائى الصوفى فى صيدها فى المرة القادمة (يمسك أشلاء حذائه الصوفى) هل تعرفين هذا الشيء ؟ هل يمكنك اكتشاف أى أثر للجمال زائل غطته القذارة ؟ إنه حذائى الصوفى الذى صنعته لى أمى ! أعظم شيء أحببته فى حياتى ، انظرى إليه الآن (يلقى

به على الأرض) لقد آن الأوان لأن يصبح شيئا نافعاً له قيمة وإلا تحول لشيء قذر ، فالحياة دون قيمة أو دون شيء مقدس وجودٌ بلا روح حياة حقيرة (براسكوفيا لا تعرف ماذا تفعل ، تهز رأسها فى صمت قبل أن تبدأ حديثها)

براسكوفيا : (بخوف) بقيل أنا لا أقصد مقاطعتك ، ولكن هل يمكن أن أسألك سؤالا ؟
(بقيل لايحرك ساكناً)
منذ لحظات تكلمنا عن كل مايخص حياتك ووجودك هنا وما أريد . . . .
أنا لا أقصد مقاطعتك . . . . .
ولكن وقت العشاء قد حان فهل أحضره لك ؟ !!
(بقيل لا يرد)
لقد طهوت لك شوربة القرنبيط وبعض الفطائر
(لا يرد)
بقيل ؟ . . . بقيل ؟

بقيل : (بعنف) لقد سمعتك .
(وقفة)

براسكوفيا : عظيم .

بقيل : (بصعوبة شديدة) هل وضعتِ بعض زهور اليندسون فى الفطائر ؟

براسكوفيا : نعم .

بقيل : إذن فالعشاء شوربة قرنبيط وفطائر ، اليس كذلك ؟ . .

(إظـــــــــلام)

● المشهد الثالث : «نزهة فى منتصف الليل»

«الزريبة ، مر وقت طويل ، الحوائط مكسوة بطبقة من الطين والقذارة من جراء حركة الخنازير .
داخل الزريبة ، الخنازير هادئة ، الوقت ليل ، بقايا شمعة على المائدة بقيل فى سريره المتهالك يستند على وسادة ، يبدو كرجل مريض جدا يخرج آهات يائسة ، براسكوفيا مهتمة بأشيائها الخاصة ، الفستان ، والشال ، والقبعة ، والحذاء . . . الخ» .

بقيل : ألم يحن الوقت بعد ؟

براسكوفيا : انتظر قليلا .

بقيل : لقد قلت هذا منذ ساعة مضت .

براسكوفيا : لازال هناك بصيصٌ من ضوء الشارع ، لن يكون الشارع مأموناً طالما أن أهل القرية خارج منازلهم ، تحلَّ بالصبر .

بقيل : تحلَّ بالصبر ! إنى أكاد أختنق وهى تتحدث عن الصبر .

براسكوفيا : هل أهوّى لك ؟

بقيل : لا فائدة من الهواء فى هذه الزريبة ، رائحة القذارة والهواء المسمم ، أحتاج لهواء نقى ، هواء نقى .

براسكوفيا : ستشم هواءً نقياً ولكن عليك أن تنتظر بضع دقائق ، لن يمر وقت طويل حتى يأوى أهل القرية لفراشهم وبعدها يمكن أن نأخذ فرصتنا (ترسم علامة الصليب بينما ينهض بقيل من سريره مرتديا فستاناً أسود) سيساعدنا الله فأنا لا أخفى عليك أنى أشعر بقليل من العصبية والقلق ، إن لك أفكاراً جريئة ولولا حالتك ما كنت وافقت على الاطلاق على أنى أقول لك ذلك لأذكّرك بوعدك : لا مناقشات فى الشارع ، السير فى الطريق مسئوليتى لانك نسيت الشوارع ، نزهتنا ستكون حتى حافة الغابة ثم نعود أدراجنا فوراً ، ولو كان الطريق آمنا وخاليا من الناس فقد نفكر فى جولة أخرى فى طريق العودة أعتقد أنك توافق على ذلك (تلمح بقيل يبكى) ماذا هناك يابقيل إنك تقضى نصف وقتك فى دموع وبكاء ، ماذا حدث لك ؟

بقيل : ضعى يدك على قلبى (تضع يدها على قلبه)

براسكوفيا : يا إلهى ، لم كل هذا يا بقيل ؟

بقيل : خائف بل مذعور .

براسكوفيا : ولماذا ؟ يمكننا أن نتخلى عن هذه الفكرة الطائشة .

بقيل : لا ، لا ، لا ، إنى لا أخاف من هذا الأمر فحسب ولكننى أخاف من كل شىء ، طيلة واحد وخمسين عاما هو عمرى ــ وأنا رجل خائف ، . . لقد أرهقنى خوفى ، أرهقنى يا براسكوفيا ، أرهقنى .

براسكوفيا : لا ترهق نفسك بتلك الأفكار المريضة ، حاول أن تنظر إلى الجانب المشرق ، هناك جانب مشرق فى كل شىء .

بقيل : دعينى أتكلم ، ربما أجد راحتى فى الكلام ، فهناك أشياء حبيسة فى صدرى ، حقائق لم اعترف بها وهى تثير اشمئزازى مثل هواء هذه الزريبة .

براسكوفيا : لا بأس يا بقيل ، تكلم فكلى آذان صاغية .

بقيل : (يجمد فى مكانه) أنا جبان يا براسكوفيا ! إنى لا أنكر ذلك ، بقيل ايفانوفيتش ناغروتسكى رجل جبان ، فبينما يحرك الرجال الشجاعة والطموح يحركنى الخوف ، فى الليلة الماضية حينما شعرت أن نهايتى قريبة ، حاولت أن أتذكر طفولتى ، حاولت أن استرجع فى خيالى الأيام الخوالى ، أيام السعادة والبراءة ، هل تعرفين ما الذى طفا على سطح ذاكرتى ؟ بقيل الصغير الخائف الذى يختبىء دائما من المشاكل ! والذى يختبىء دائما من كل شىء من المشاجرات ، ومن غضب أبى الذى كان يخلع حزامه ويمسك به فى يده . . . . . . فكنت اختبىء تحت السرير ، أو فى الدولاب ، أو تحت السلم ، وأحيانا فى المخزن ، أو فى الحديقة ، كان لدى كراسة خاصة أدون فيها الأماكن التى يمكن الاختباء فيها دون أن يعرفها أحد ، أعتقد أنى دونت أكثر من مائة مكان . لا . لا لم يزيدوا عن سبعة وستين ، وليت الأمر انتهى مع طفولتى ، فعندما كبرت وصرت جنديا محاربا استعدت موهبتى من جديد ، لقد أصبحت قادرا على الاختباء حتى وأنا وسط الناس ، حتى فى يوم زفافنا كنت قادرا على ذلك ، أنت لم تتزوجى بقيل ، ولكنك تزوجتِ بدله زفافنا السوداء ، لأنى كنت مختبأً فيها طوال الوقت ، دعك من هذا ، هل تذكرين ذلك الجندى الذى لوح لك بيده مودعاً قبل أن يُساق إلى الحرب ؟ كان الشىء الوحيد الشجاع فيه هو العسكرية ، نعم بزتى العسكرية التى كنت اختبىء بداخلها ، !

كانت شجاعتى هى تلك الأزرار النحاسية اللامعة التى تزين بزتى العسكرية ، انظرى ما الذى انتهى إليه الأمر ؟ فى زريبة خنازير ؟ ! وخمنى ما الذى يفعله بقيل ناغروتسكى فى هذه الزريبة ؟ لاشىء سيدون فى كراسته ، إنها المخبوء الثامن والستون !!
(ينهار فيسقط إلى الخلف على وسادته)

براسكوفيا : الآن أخرجت كل ما اعتمل فى

Scanned by CamScanner

صدرك فهل استرحت ؟

بهيل : لا . ، لازلت اشعر بما هو اقسى ، لو لم استنشق هواءً نقياً خلال الدقائق القادمة فسيكون القبر هو المخبأ القادم

براسكوفيا : لن يحدث هذا ، سأستطلع ثم اعود إليك .

(براسكوفيا تخرج ثم تعود بعد ثوان)

الآن قد حانت الفرصة فقد خفتت الأضواء .

(بهيل يستند على براسكوفيا ويحاول أن ينصب قامته ، تبدو كأنها مسألة فى غاية الصعوبة لأنه يعانى من الضعف والخوار ، ولكنه مع ذلك يحاول أن يساعد نفسه للاستناد على المائدة)

بهيل : اريد مرآة

براسكوفيا : نعم .

بهيل : أقول لك : مرآة . . . مرآة

(براسكوفيا تبحث عن مرآة ثم تضعها امامه فيقف أمامها ثم يلمح بقعةً على صدره فينظفها بأظافره) ألا يوجد لديك بروش او شىء من هذا القبيل .

(براسكوفيا تخرج ، بهيل يعدل من هندامه حتى تعود براسكوفيا ومعها صندوق صغير تحتفظ فيه باكسسوارها ، بهيل يفتش بدقة فى محتويات الصندوق ، ثم يختار بروش ترشقه له براسكوفيا فى ملابسه)

براسكوفيا : جميل جدا

بهيل ألا يبدو واسعاً من الوسط (يشد فستانه)

براسكوفيا : حقيقة لا . . . بل لن أكون مجاملة لو قلت لك إن هذا الفستان يبدو جميلاً عليك أكثر منى .

بهيل : حقا ؟

براسكوفيا : نعم ، لولا شعيرات ذقنك النابتة لصدقت أنكَ زوجة أو أم من عائلة كبيرة ، ولكن دع وجهك مغطىً ولا تقل شيئا حتى لو قابلنا بعض الناس فسأقوم انا بالحديث اليهم وسأعرفهم بك باعتبارك ابنة عمى «دنياشا» التى تعيش فى «باكتسكاك» والتى تعانى من الصمم ولهذا فهى لاتسمع اى شىء ، والآن هل انت مستعد ؟

(ترسم علامة الصليب) صل من أجل نزهة مختلسة لسيدتين لاحول لهما ولا قوة (يخرجان ويمشيان فى الظلام وقد اصطدمت حواس بهيل بكل شىء : النسيم العليل ، ورائحة الجو النظيف ، والنجوم فى السماء ، واصوات صراصير الأرض ، ونباح الكلاب من بعيد ، واشياء كثيرة لا يملك ان يدركها كلها فى وقت واحد ، وبعد قليل من استنشاق نسيم الحرية ، بهيل يشعر بالدوار فيترنح وبراسكوفيا تسنده) .

يامريم العذراء ، ما الذى يحدث يا بهيل ؟ لا استطيع أن اسندك ارجوك لاتمت فى هذا المكان .

بهيل : الهواء يابراسكوفيا ، الهواء النقى ، . . . إنه يسكرنى . . . ارجوك . . . اسنديني . . . . اسنديني . . . سأفقد وعيى .

براسكوفيا : هذا ينهى كل شىء ، هيا عد إلى الزريبة . هيا يا بهيل لقد كانت فكرة مجنونة ولا أدرى كيف وافقت عليها .

بهيل : لا . . . لا . . . لا . . ستمر هذه الأزمة ، بعد لحظات سأكون بخير

(تخرج من شفتيه صرخة نشوى خافتة جداً)

براسكوفيا : لاترفع صوتك ، ارجوك

بهيل : النجوم يابراسكوفيا ، انظرى إلى النجوم

براسكوفيا : نعم ، إننى أراها ولكن استحلفك بالله أن تخفض صوتك ، فلو ظل صوتك عالياً فسوف تتحلق البلدة كلها حولنا قبل أن نخطو خطوة واحدة .

بهيل : نعم وصوت الصراصير ، انصتى ، هذا ليس حلماً أليس كذلك ؟

براسكوفيا : ليس حلماً ولكن يعلم الله كم تمنيت أن يكون .

بهيل : هناك حلم آخر يعذبنى ، عندما استيقظ غداً واجدنى فى زريبة الخنازير العفنة ، اقرصينى يابراسكوفيا ، اقرصينى حتى أتأكد من أن كل ما أراه حقيقة إنى مستيقظ ، وكل الجمال الذى أراه حقيقة تسلبنى العقل ، أيتها الأرض الجميلة كم أود ان أهب نفسى لك .

(يضم ذراعيه ويحتضن الهواء وهو يترنح وبراسكوفيا تتبعه فى ذعر)

براسكوفيا : أنت تذهب إلى الطريق الخطأ ! إلى اليسار يا بهيل . . . اقصد يا «دنياشا» تحركى إلى اليسار . . . .

(بهيل ينحرف نحو الميدان الكبير فى القرية ولكن براسكوفيا تلحق به تقطعت أنفاسها وهى تحاول الخروج من التجربة بسلام)

استحلفك بعينيك أن تتوقف يا بهيل ! ما الذى حدث لك ؟ هل تريد أن تفضح امرنا ؟ لقد اتفقنا على أن نبدو مثل سيدتين فى غاية العقل والرزانة ، تخرجان فى نزهة قصيرة لاستنشاق بعض الهواء النقى قبل النوم ، ولكنك تشق ظلام الليل بسرعة كأنك مطارد ، تعرف ، نحن محظوظان لأن احداً لم يكن موجودا فى هذا المكان ، كان من الممكن أن تنكشف حقيقتنا (تنظر حولها) على كل حال لقد وصلنا ، دعنا

نجلس قليلاً ونستمتع بالهواء النقى ، ثم نعود كما أتينا ، أتوسل إليك من أجل قلمىّ العليلتين ألا تسرع الخطى مرة اخرى .

(بهيل يستنشق الهواء كما يفعل الكلب الجائع)

نعم ، زهور برية ، ستموت بعد ساعات والناس يصلّون من أجلها فى كل مكان دون جدوى .

بهيل : (لايزال مبهوراً بالحرية) هذا حرام

براسكوفيا : ما الذى تفعله الآن ؟

بهيل : هذه النجوم المرصعة والزهور المعطرة شىء رائع ! شىء لايمكن التعبير عنه يا براسكوفيا لقد أصبحت طريداً بفعل خطيئتى تماما مثل آدم الذى طردته خطيئته من جنات عدن ، ولكننى احاول ان أتسلل إلى الماضى لأكون الملاك الحارس الذى يذوق طعم الجنة لآخر مرة .

براسكوفيا : لاتقلق ، فالعناية الآلهية قد رأت أن تغض البصر عن فعلتنا المتهورة وأن تعطينا فرصة أخيرة ، واحمد الله أن هذه الفعلة كانت مرةً واحدةً ولن تصبح عادة ليلية . . . أتفق ذلك .

بقيل : لقد فكرت فى عقاب العناية الإلهية وأنا فى الزريبة ، وقد تولدت لدى قناعة أنى أعانى نوعاً من الانحطاط الخافى ، هو المسئول عن قذف روحى إلى بحر من روث الخنازير ، وقد كان علىّ أن أسبح فى هذا العفن لفترة الله وحده يعلم متى تنتهى ، ورغم كل هذا فلازالت أمالك روحاً .

براسكوفيا : تأدب فى كلامك يا بقيل فلا يصح لسيدة مهذبة أن تتحدث بهذا الشكل .

بقيل : نعم بالتأكيد . . . إننى أشعر بهذا . . . أشعر به جداً

براسكوفيا : لابأس ، إنى أصدقك ، اعرف أنه لازالت لك روح ، ولكن لاتجعلها تمرضك كثيراً ، فهذا يضايقنى .

بقيل : إننى لا أستطيع أن أقدم العون لنفسى ، هذه النسمات الرقيقة التى تهز وجدانى كما لو كانت إعصاراً ، تحرضنى رغماً عنى ، لا دخل لى فى هذا . هناك رغبة ملحة تدفعنى لذلك .

براسكوفيا : فليساعدنا الله ، فأنا أرى رغباتٍ كثيرةً على وشك أن تهب علينا

بقيل : قوية ومثيرة

براسكوفيا : إلام تدفعك هذه الرغبات ؟

بقيل : إلى الطريق ، ذلك الطريق الذى أمامنا يابراسكوفيا ، يناديني ، يحرضنى إنه يغرينى أن افعل .

براسكوفيا : (بحزم) لا . . .

بقيل : بل نعم ، دعينا نمشى .

براسكوفيا : (بحزم أكثر) قلت لا . هذا آخر مايمكن أن نصل إليه ، ليس لدينا وقت يابقيل ، خاصة أننا سنبطىء فى طريق عودتنا ولاتنس أن الليل قصير جداً فى الصيف ، فبعد قليل سيهبط نجم الفجر ويغاور ضوء الشروق .

بقيل : لا ، لالا . . . ، لا . . أنت لاتفهمين شيئاً ، إننى لا أتكلم بشأن إضافة دقائق بائسة إلى هذه النزهة المختلسة ولكنى أقول فلنمش فى هذا الطريق إلى المستقبل .

براسكوفيا : إلى أين ؟ إن هذا الطريق لايقودنا إلى المستقبل ولكنه يقودنا إلى «بارابينسك» يا بقيل !!

بقيل : ليس لدى اعتراض ، دعينا نذهب إلى «بارابينسك» ثم بعدها إلى المستقبل يا براسكوفيا إلى حياة جديدة

براسكوفيا : أوضح كلامك ، ماذا تقصد ؟

بقيل : أن نهرب . . . . .

براسكوفيا : تقصد أن ؟ . . . .

بقيل : نعم أقصد مالم تذكريه . . . ، مالم تفكرى فيه ، هو ما أقصده بالضبط ، أن نهرب !! ماذا جرى لك ؟ هل غسلوا مخك إلى الحد الذى تنسين معه مانعنيه هذه الكلمة ؟

براسكوفيا : وماذا بشأن بيتنا ؟ أشيائنا . . . ؟ الخنازير . . . . ؟

بقيل : أديرى ظهرك لهذه الأشياء ، أقصد نتركها . . . نتخلى عنها ، . هيا يا براسكوفيا فلنفعلها الآن . . لو عدنا إلى بيتنا فلن تواتينا الجرأة على الهروب .

براسكوفيا : تقصد أن نرحل الآن . . . من مكاننا هنا . . . ؟

بقيل : نعم ، هنا ، والآن !!!

براسكوفيا : كيف وأنت تلبس فستاناً ولا يوجد فى جيوبنا روبل واحد ؟

بقيل : نعيش مثل الغجر

براسكوفيا : أنت لاتعلم شيئاً عن الغجر ، أنت قد جننت ولا أريد أن أسمع أكثر من هذا ، فلا تزد ،

بقيل : نعم إنه جنون مقدس ما دام يحررنى من رقى ، نعم يا براسكوفيا ، إننى أحب أن أموت على مقعد خشبى على جانب هذا الطريق تحت النجوم والنسيم العليل أكثر من العودة إلى تلك الزريبة التى ستقتلنى فيها رائحة الخنازير .

براسكوفيا : بقيل ، أرجوك أن تهدأ وتسمعنى ، لو سرت فى هذا الطريق فلن تموت على مقعد خشبى تحت النجوم والنسيم والزهور وكل ماتحلم به ولكنك ستموت فى محرقة . عد إلى عقلك يابقيل وفكر قليلاً ، أنت لاتستطيع أن تخرج إلى قارعة الطريق فى ضوء النهار ، فالمستقبل الرائع الذى تتحدث عنه سينتهى حالما تصل إلى أقرب قرية ، الشرطة ستعتقلك ، والآن هيا يا عزيزى ، لقد كبرنا جداً ، دعنا نستدير إلى الخلف بهدوء ، ونعود لبيتنا ، وبعد أن نعود استحلفك بالله أن تنظر فى مرآة ، ستجدنا قد كبرنا جداً على هذه الأفكار العظيمة ، كبرنا حتى أنها لم تعد لنا .

بقيل : بيتنا ؟ لاتنطقى بهذه الكلمة ، فهى لم تعد تعنى لى شيئاً ، ولاينتظرنى هناك إلا زنزانة أتقاسمها مع دستة من السجناء الأشرار ، حياة حقيرة لا . . . لا . . . لا أننى أرى البيت بعيداً ولن أعود إليه

براسكوفيا : لا بأس يا بقيل ، لقد بذلت قصارى جهدى . ، لو كان هذا طريقك فاذهب إليه وحدك ، وسر فيه حتى نهايته ، ولكن صدقنى سأصلى لك من كل قلبى عساك أن تحرر على أرض هذا الطريق وتسعد بمستقبل جميل .

بقيل : ماذا تعنين بكلماتك ، ألن تأتى معى ؟

براسكوفيا : لا ، ستسير بمفردك ، أما أنا فكفانى ، هنا نهاية رحلتى وسأعود .

بقيل : لايمكنك أن تتخلى عنى بهذه البساطة لايمكنك .

براسكوفيا : أنت مَنْ يتخلى عنى عندما تقرر المضى فى طريق الأخطار ، أنت مَنْ يرحل ولست أنا . . . فماذا تنتظر . . ؟ ماذا تنتظر ؟ هيا ارحل .

بقيل : أراكِ متعجلة فى تركى !

براسكوفيا : كلا ، كل ما فى الأمر إننى أريد العودة إلى بيتى قبل شروق الشمس ، وأريد أن ألوح لك بيدى مودعة وأنت تغادر القرية .

بقيل : نعم ، نعم ، . معك حق ، سأذهب . (يعدّل ملابسه) والآن إلى اللقاء يا براسكوفيا . . إلى اللقاء

براسكوفيا : إلى اللقاء يابقيل

(بقيل يخطو بضع خطوات مترددة فى عكس اتجاه براسكوفيا التى تلوح له بيدها ولكنه يتوقف فجأة ويعود إليها)

بقيل : لدى اقتراح ، لو انتظرتِ معى هنا حتى الشروق سأعود معك ، أرجوك يا براسكوفيا هل تعرفين كم من الوقت مر دون أن أرى أشعة الشمس وهى تلد يوماً جديداً . . . . . هل تعرفين كم من الوقت مر دون

لن أرى ظلى منعطفاً على الأرض . . . هذا ما أريد أن أراه . . . لن تنتظرى كثيراً فالسماء توشك أن تمتىء بالفجر . . . انظرى لقد صارت رمادية . . .

براسكوليا : لن أنتظر حتى لو قلت أشعاراً ، لن أنتظر حتى نحمد أنفسنا فى مأزق حقيقى ، فبعد أن تشرق الشمس ستجد نصف أهل القرية قد استيقظوا ليذهبوا لأعمالهم . لا يا بقيل هذه نهاية رحلتنا وأرجو ألا تظن أنى لم أعد أحبك ، ولكن أعصابى لم تعد تحتمل ، سأذهب الآن وعندما يقبضون عليك يمكنك أن تخبرهم أنى موجودة فى بيتى !!

(تتركه وسط الميدان وتسرع فى طريقها إلى المنزل حتى تختفى فى الظلام)

بقيل : هل ستتركينى ؟

براسكوليا : (يأتى صوتها بعيدا بعض الشىء ومن الظلام) نعم

بقيل : لن تستطيعى

براسكوليا : بل أستطيع

(بقيل قدماه لاتحمله . . . يظهر الضوء الأول من النهار فتخونه شجاعته)

بقيل : براسكوليا . . . براسكوليا (يعود مسرعاً خلفها)

إظــــلام تدريجى

(يضاء المسرح على الزريبة ، براسكوليا تنتظر ، يدخل بقيل منهكا ، ويائسا ، لايقوى على التقاط أنفاسه ، يبدو أنه ركض مسافة طويلة)

بقيل : هل ابتهجت روحك الطاهرة عندما طردت الملائكة آدم من جنات عدن ؟ ها هو ملاك الرب يبدو كوحش ملعون ، أنيابه البيضاء تطل من فمه ، ويمسك فى يديه لجاماً ، ها هو يزأر مثل الذئب فى الظلام ، لقد نهش قدمى ، لازالت آثار أنيابه فيها ، هل أريها لك لتصدقى (يرفعه ثم ينظر حوله فى دهشة) أنا لا أصدق ، لقد عدت إلى هنا مرة أخرى ؟ هل أنا الذى كنت بالخارج منذ لحظات ؟ حيث العالم يعج بالنساء والنجوم والأشجار والزهور والهواء والشروق والغروب ، هل أنا الذى كنت أمام طريق يقود إلى المستقبل ولكنى بإرادتى عدت إلى هذا المكان راكضا ؟؟ !! نعم لقد عدت إلى هنا راكضا . . . يا إلهى كنت قريبا جدا من الهروب ، لم يكن يعوزنى إلا قدرٌ صغير جدا من الشجاعة . . . هذا كل ما أحتاجه . . (يلتفت إلى براسكوليا) لو أنك أعطيتنى بعضاً منها . . . كلمات قليلة منك كانت كافية جدا لأن أتشجع ، ليس هناك ما تخسرينه . . . لو قلت وها هى بين يدى يا بقيل . . دعنا نذهب ، ولكنك لم تقولى . . . لم تقولى . . . ولماذا تقولين ؟ والنتيجة أننى هنا مره أخرى . . . تدرين لماذا ؟ أقصد لماذا لم تنطقى بتلك الكلمات ؟ أتعرفين لماذا ؟ لأنك أصبحت تؤمنين بأن الزريبة هى المكان الوحيد الذى يجب أن أنتمى إليه . . !! هى وطنى ، وبيتى ، نعم ، وهذه ليست زلة لسان منى ، فأنا أعنى ما أقول ، إنكِ تؤمنين بذلك !

(براسكوليا تحاول أن تقول شيئاً)

والآن إلامَ انتهت ؟ كيف أصبحتْ ؟ مجرد خنزيرك !! نعم أو على الأكثر حلوف مَنَّ الله عليه بنعمة العقل والكلام فأصبح خنزيرك المفضل أوخنزيرك الطيب الذى تخصينه بشوربة القرنبيط والفطائر دون سائر الخنازير ، ألا ترين فى وجهى هذه الصورة ؟

(بقيل يبتعد عن براسكوليا ويدور فى أنحاء الزريبة ثم يتهيأ لأن يقرر شيئاً)

ثلاثون عاماً وأنا أحاول أن أمسك برجولتى هنا ، ثلاثون عاما وأنا أحاول الدفاع عن كرامتى ، الدفاع ضد أى اعتداء على الجسد أو على الروح أو على العقل !! ثلاثون عاما وأنا صامد ، ولكن كانت خيانتك لإ رادتى هى القشة التى قصمت ظهر البعير ، هذه هى آخر كلمات تسمعينها منى ، لقد تخلصت من إنسانيتى ! من الآن عليك أن تقدمى لى الطعام دونما حرج كأى خنزير آخر !

(تسقط دموعه على ملابسه ثم يلقى بنفسه على أحد المزاود مع الخنازير ثم تمر لحظات صامتة ، براسكوليا تتقدم نحو بقيل حيث يجلس مع الخنازير)

براسكوليا : بقيل ، أتمنى ألا تكون جاداً فيما تقول .

(بقيل لايرد)

لأنك لو كنت جادا . . .

فأنا . . . لا أعرف ماذا أقول لك ، فأنت قد ذهبت بعيداً هذه المرة ، نعم وقد كان شيئاً جارحاً ، دعنى أعرفك أمام الله ، إننى تزوجت رجلاً ، نعم وليس خنزيراً ، طالما ظل الرب فوق عرش هذه السماء وطالما ظللنا فى كنفه أتوسل إليك باسم العالم الطاهر ، اخرج من عنادك

(بقيل لايتحرك)

تنبه يابقيل فإنك تثير غضبى ، إننى أحذرك لآخر مرة ، سأفعل شيئا لن نجنى منه إلا الندم ، أتوسل إليك أن تخرج من عنادك .

(براسكوليا تركع وتصلى)

يا إله الرحمة ، إننى أعلم أنه من الخطأ أن أركع لك فى زريبة ، ولكننى أفعل ذلك لأننى أبغى منك المساعدة على وجه السرعة والتسامح فى هذه اللحظة بالذات دون حياتى كلها ، يا إله الرحمة إننى أوشك أن أرتكب خطيئة ، أن أفعل شيئاً قد حرّمته بلسانك الطاهر فى كتابك المقدس ، ، إننى أتضرع إليك وأتوسل أن تعطينى الحكمة والقدرة على تفادى هذه الخطيئة ، إننى أتوسل إليك أن تعطينى القوة لقتل هذا الإغراء الملح خلصنى يا إله الرحمة من خطيئتى . آمين

(براسكوليا تنهض ثم تبحث عن العصا حتى تجدها ، تشمر عن ساعديها ، تخلع حذاءها وترفع فستانها لأعلى حتى فخديها ثم تقفز إلى المزود حيث يستلقى بقيل سيؤلمنى هذا الأمر مثلك تماما .

(تنهال على بقيل بأول ضربة من العصا ، يصرخ من الألم)

هيا أخرج من عنادك ، هيا تحرك (ضربة أخرى بالعصا فيصرخ

بهيل من الألم ، ثم يتركه والدوده وبراسكوليا تلاحقه)
إذا كنت تريدنى أن أكف عن ضربك فتوسل إلى ان اتوقف ، استرحمنى
(ضربة أخرى وصرخة من الألم)
أفضل لك أن تتكلم وإلا سأستمر دون حرج

بهيل : (لم يعد يحتمل أكثر من هذا) توقفى ! توقفى ! أرجوك فإنك تقتلينى !

براسكوليا : لاتقلق ، فلن تقتلك العصا ، ولكننى أحب أن أسمعك وأنت تسترحمنى
(ضربة قوية بالعصا فيصرخ)

بهيل : توقفى ، آه ، توقفى أرجوك يا براسكوليا ! هل جننت ؟

براسكوليا : والآن ، الدور على قدميك سأضربك عليها

بهيل : لا ، أتركينى من فضلك
(تضربه بكل ما تملك من قوة على قدميه)
لا ، أرجوك ، أرجوك .
(يسقط على الأرض فيزحف على بطنه)
أتوسل إليك أن تكفى .

براسكوليا : (تلتقط أنفاسها بصعوبة) لقد فعلتها !

بهيل : براسكوليا ، ساعدينى ، أرجوكِ أن تساعدينى
(براسكوليا تبحث عن دلو ماء ثم تلقى الماء على بهيل)

براسكوليا : (بهيل ينتفض واقفا) ها أنت تقف على قدميك مرة أخرى ، وهذا آخر ما سأفعله ، والآن أعتمد على نفسك ، فلا مساعدة منى
(تخرج براسكوليا ويظل بهيل وحيداً يائساً وقد علاه الطين والوسخ ، صورة بالغة اليأس)

(إظــــــــلام)

المشهد الرابع : أوامر من القائد العام :

(الزريبة ، الوقت ليلا ، بهيل يرتدى ملابس مهلهلة قذرة ، ويلف جسده ببطانية قديمة ، ويجلس وحيدا منعزلا كشبح فى الظلام ، يبدو أنه منهك خائر القوى تماماً ، يروح فى نوم

ليبقى مستيقظا ، صوت الخنازير كالمعتاد)

بهيل : (بلهجة عسكرية آمره) خطوة إلى اليمين ، خطوة إلى اليسار ، إلى الأمام سر ، قف ، رءوسكم إلى أعلى ، هيا . الرءوس إلى أعلى ، سريعا (يلهث فى غفوة) جندى بهيل ايفانوفيتش افتح عينيك .
(يفتح عينيه)
افتح عينيك أكثر !
ها هما مفتوحتان يا سيدى الرفيق .
لا ، بل هما مغلقتان ، أنت تشعر بالنوم ثانية . (باستكانة ورجاء) لأننى متعب يا سيدى الرفيق ، نعم متعب جدا وحق المسيح ، إلى آخر المدى متعب .
لا ، لا ، لا ، . يا بهيل ، لو استسلمت للنوم ستكون نهايتك ، هيا يا بهيل افعل شيئاً .
(كأنه يتحدث إلى شخص آخر) ساعدنى أرجوك ، ساعدنى ، سأحكى لك القصة ، بهيل هل انت منصت ؟ نعم ياسيدى الفريق ، ذات يوم كانت هناك قرية صغيرة بها رجل غبى ، ذات يوم قرر أن يصبح خنزيرا !! قلت لك اخرس ، صمتاً ، اخرس .
الا تريد أن تسمع بقية القصة ، اسمعها فنهايتها جميلة جدا ، ذات يوم نهض من نومه فوجد أقدامه قد صارت حوافر ، وفى اليوم التالى صار أنفه منخارا
قلت لك أخرس
(ينظر حوله) الحمد لله لازلت مستيقظا ، هيا إلى العمل هيا ، أين نحن ؟ آه نحن نواجه حالة حرجة جدا ، نمت وتطورت هنا فى هذا المكان ، وذات يوم ستصبح . . ستصبح . . ستصبح ، . . .
(رأسه يقع على صدره ويلهث فى نوم عميق لمدة ثوان)
(يصرخ) بهيل ايفانوفيتش
(يفيق من نومه فجأة فى حالة من الذعر واليأس)
لم أفعل شيئا ! لم أفعل شيئا
(بصوت أجش) ولد شقى ، شقى ، بهيل الصغير ولد شقى ، ويجب أن ينال عقابه ، سيخلع

سأضربك ، أعرف أنك تختبىء تحت السرير فاخرج ، ستنال علقةً ساخنةً .

(بتضرع شديد وبصوت طفولى) أنا أسف ، لن أفعل ذلك مرة أخرى ، لاتضيع الوقت ببهيل فى الوعود ، لقد وعدتنى كثيرا ، ولكنك تعود للشقاوة وترتكب أخطاءً ، أتعرف لماذا ؟ لأنك فاشل ، فاشل ، . . بل تدعو إلى الرثاء (وقفة) نعم براسكوليا على حق ، فكل ماتعلمته هو الشكوى والبكاء .
(تنتابه بعض الشجاعة) شىء عظيم . . شىء عظيم جدا . . ها أنت فى النهاية تريد الحقيقة ، الحقيقة وحدها ، لا بأس . أنت لست إلا جباناً وهارباً من خدمة الوطن ، وخائنا لأرضك وشرفك دون ثمن ومن أجل أى شىء ؟ هل تذكر الشىء الذى من أجله خنت الوطن والشعب ؟ زوج من الأحذية الصوفية (بصوت يمتلىء بالسخرية) زوج جميل أحمر اللون من الأحذية الصوفية صنعته لك أمك (بحنان) صنعته من أجل بهيل الصغير ليس صحيحا ، لا تورط والدتك فى هذا الأمر ، أرجوك قل عنى كيفما شئت ولكن دع أمى فى حالها .
ماذا تقصد بأن أدعها فى حالها ؟ أليست هى التى قذفت بك إلى الدنيا ؟ ألا تعد هذه الساقطة شريكةً فى كل المصائب التى عانيت منها فى حياتك ؟
توقف أرجوك ، توقف ، توقف الآن .
(وقفة)
شىء عظيم يا بهيل ، كان شيئاً قبيحاً ، ولكن هل استراح القلب ؟ إذن هيا إلى العمل ، . . هيا ، لانوم حتى نجد حلاً يخرجنى من هذه الورطة ، وحتى نصل لهذا الأمر يجب ان نبحث عن جذور الموضوع ، جذور المشكلة ، وبينما نبحث عن جذور المشكلة يجب أن نجعل عيننا الأخرى مفتوحة على القشة التى قصمت ظهر البعير الملعون ، ولكن لماذا قصمت

القشة ظهر البعير ؟ لماذا البعير
وهناك خنازير ملعونة تستحق أن
تسحق ظهورها جميعا ؟ (يضحك
في وحشية) كراك كراك . طاخ .
دش . براڤو . براڤو . . لقد
فعلتها يا بقيل لقد فعلتها . . .
بقيل . . . . بقيل . . . .
بقيل . . . .

بقيل . . .
(يخفت صوته وحدونه ويعود له
ذلك الصوت الواثق) بقيل . . .
بقيل . . . .
نعم
أقول لك توقف الآن ، دع
الخنازير في حالها ، . لقد عاشت
مثلك ، . . ثم إذا كنت
لا تستطيع أن تفعل شيئا فلماذا
لاتطلق سراحها ؟ أقصد لماذا
لا تحررها ؟
(وقفة) بقيل يخرج من حالة
الهذيان التي انتابته)
مَنْ قال ذلك ؟ من أين جاءتني
تلك الفكرة ؟ من عقل ؟ أم من
قلبي ؟
(يذهب إلى المرآة) أنت الذي
قلت ؟
نعم
قلها مرة أخرى
هذه الحيوانات المسكينة عانت بما
فيه الكفاية من سوء الاستخدام ،
فلماذا لا تُطلق سراحها ؟
الأمر بسيط جدا ؟ الأمر . . .
نعم ، عليك فقط أن تفتح لها
الأبواب ، ثم فك إسارها ،
ودعها تذهب (بقيل يبدو كمن
لايصدق كلماته)
شيء عجيب ، بهذه البساطة ،
بهذا الوضوح ، أطلق سراحها !
دعها تذهب ،
نعم . نعم ، إنها فكرة رائعة ،
بل هي العقل بعينه ، ليس عليك
الا أن تفتح الأبواب لها وتحلها من
على «المزاود» وتحررها !
(يعود للمرآة)
إذن افعلها يا بقيل . . . افعلها .
الآن ؟
نعم الآن ماذا تنتظر ؟
لا شيء ، أنا لا أنتظر شيئاً ،
اقتراح رائع ولكن الأمر ليس بهذه
السهولة والبساطة ، فبيني وبينها
صداقة وعشرة امتدت لعشرات
السنين ، عشرات السنين من
القذارة والغباء والشجار ،
ولا يمكن أن أتخلى عن كل هذا في
لحظة كأنه لم يكن (يضحك من
نفسه غير مصدق) يا إلهي . بقيل
أنت مدهش ، ها أنت تعود
لحيلك القديمة أليس كذلك ؟
لازالت كما أنت يا بقيل رجلا
سلبياً ، لاتنكر ، لقد ضبطتك
متلبساً في هذه المرة ! دائما تخاف
من الفعل ، ولاتملك القرار ،
ولكن لا بأس ، فلينته هذا
الأمر ، لن أكون ذلك الرجل
الذي كرهته ، سأفعلها الآن .
سأفعلها سأفتح الأبواب وأدعها
تذهب . .
نعم هذا أمر ، هذا أمر
سمعاً وطاعة ياسيدي الرفيق ،
سمعا وطاعة .
(بقيل يطيع الأوامر ، فيفتح
الأبواب ثم يسوق الخنازير إلى
الخارج)
هيا . . . هيا . . . استنشقوا
(يضرب الخنازير بقدميه وبالعصا)

هيا . . . هيا إلى الخارج ، لقد
انتهى السجن وحانت لحظة
الحرية ، هذه أوامر من القائد
العام ، عفو فوري دون قيد أو
شرط ، أمر القائد العام الرفيق
الأول بإطلاق سراحكم دون قيد
أو شرط .
(الخنازير تصدر أصواتاً قلقة
وتحدث جلبةً شديدةً وتحرك لحظة
كانت ساكنة جدا)
هيا إلى الخارج . هيا ،
كلكم . على أقدامكم . . . ،
هيا أيها الخنازير . . .
الا تشمون رائحة الحرية ؟ . .
هيا إلى الخارج . . . هيا
(بقيل لازال يطرد باقي الخنازير
خارج الزريبة وهي تحدث صخبا
شديدا يناسب اللحظة ، تظهر
براسكوفيا وهي تمسك في يدها
مصباحاً زيتياً وترتدي ملابس
النوم .
تنظر إلى الباب المفتوح . وإلى
«المزاود» الفارغة لتدرك ما فعله
بقيل . تسمع أصوات الخنازير
من بعيد ، لحظات شاحبة جدا ،
بقيل وبراسكوفيا يتبادلان
النظرات في صمت يغلف المكان
كله ، براسكوفيا تتحرك لتجلس
بجوار بقيل على حافة «مزود»)

براسكوفيا : (بصوت هامس) تبدو كما لو كنا في كنيسة أليس كذلك ؟ يجب أن تتعلق كلماتك همساً بهدوء وسكينة ، إنني لا أصدق ماحدث ، تعرف لم تخطر ببالي يوماً إن هذه اللحظة ستأتي ، سنوات وسنوات من الضجيج والصخب قد ذهبت في لحظة (تهز رأسها) الصراخ والنهيق وكل الاصوات السخيفة قد ذهبت ، ذهبت بكل بساطة ، هل هذا حلم ؟

بقيل : حلم ولكنك مستيقظة يابراسكوفيا

براسكوفيا : هل حقا انتهى كل شيء ؟

بقيل : لا ذنب لي ، إنني أطعت الأوامر .

براسكوفيا : ماذا تعني ؟ أوامر من ؟

بقيل : (يشير إلى المرآة) أوامره يابراسكوفيا ، أوامر الرفيق الأول سيدي القائد العام ! ولا تسأليني من أين جاء أو ما الذي يفعله هنا ، الجندي الحقيقي ـ الذي لم أكنه أبداً ـ لايوجه لقائده أية أسئلة ، عليه فقط أن يطيع الأوامر خاصة وأنها لم تكن أوامر معقدة بل في غاية البساطة ، الجندي بقيل ايفانوفيتش نالروتسكي افتح الأبواب وأطلق الخنازير .

براسكوفيا : بهذه البساطة ؟ !

بقيل : نعم ببساطة شديدة

براسكوفيا : (تقهر ضحكة ارتسمت على شفتيها ولازالت تتكلم همساً) أعتقد أن شيئاً ما قد حدث لي ، فقدت لقمة عيشي من هنا ، أقصد وسيلة كسبنا الوحيدة ، لقمتنا الآمنة ، وها نحن نجلس على أطلال خربة وكل ما أحس به هو الرغبة في الضحك ، . . . وأنت بماذا تحس ؟

بقيل : لا أشعر بشيء .

براسكوفيا : لا بأس ، أعتذر مقدما فأنا لا أستطيع أن أمنع نفسي من الضحك

بقيل : هيا اضحكي لاتخجلي اضحكي

براسكوفيا : لا يمكن لإنسان أن يضحك في الكنيسة يا بقيل (تنفجر في الضحك على كل شيء ، وتشير إلى الأبواب المفتوحة ، ثم إلى

نفسها وإلى بلهيل . . . . . .
(تضحك بصوت عالٍ ضحكةً معديةً تنتقل لمن يسمعها ، غير أنها تشعر بإرهاق بعد الانتهاء من الضحك ، أما بلهيل فقد اقترب من الإغماء ، بعد أن أصابه الجمود والإنهاك)
أما الآن فأنا أشعر برغبة قوية فى البكاء .

بلهيل : ولماذا لاتبكين ؟ هل هذا ممنوع أيضا فى الكنيسة ؟

براسكوفيا : نعم سأبكى بأعلى صوت إن كان هذا يريحك (تدعك عينيها) إننى فخورةٌ بك يابلهيل ، إننى لا أصدق ! لم يكن لدى الشجاعة لأن أفعل مافعلته !

بلهيل : شجاعة ؟ عمن تتحدثين يابراسكوفيا ؟

براسكوفيا : أتحدث عنك

بلهيل : (يهز رأسه) لم تكن شجاعة ولا قدرة ولكنه كان يأسا ، نوعٌ من فقدان العقل والروح وشعور باليأس والهزيمة ، كان علىّ أن أفعل شيئاً وهذا ما وصل إليه عقلى .

براسكوفيا : هذا تواضعٌ منك فى غير محله ، كانت خطوة جريئةً حررتنا ، دعنى أعترف لك الآن ، لقد كنت يائسة من أى أمل يحررنا ، ظننت أن الموت وحده هو القادر على قتل بؤسنا وشقائنا ، لم أكن قادرة على مجرد تصور هذه الفكرة . . إذا كنت تريد الحقيقة يابلهيل فأنا كنت راكعة على قدمى أصلى لله القدير ، عندما سمعت صياح الخنازير وهى فرحة بالحرية ، لماذا لا تغنى أغنيةً جيلة ، هل تبدو فكرة سخيفة ؟ ما رأيك ؟

بلهيل : أغنية ، هذا عين الصواب ، فكل الناس يغنون .

براسكوفيا : نعم عندما يكونون سعداء ، وأحيانا حينما يكونون تعساء يغنون ، أعتقد إن لدى أغنية جيلة .

بلهيل : ألازلتِ تذكرينها

براسكوفيا : نعم لازلت أذكر (تغنى أغنية قصيرة جداً) والآن ما هى الخطوة الجريئة القادمة يابلهيل ؟

بلهيل : (يشير إلى الباب) ألا تبدو واضحة ؟ إنها تنادينا !

براسكوفيا : هل سنخرج ثانية ؟

بلهيل : (يهز رأسه بالإيجاب)ولكننى لن أختبىء داخل فستان فى هذه المرة ، سأذهب بصحبتى بلهيل إيفانوفيتش نالفرونسكى (زفرة يائسة) لم يخطر ببالى أن تأتى هذه اللحظة ، لقد ظننت أن حياتى ستنتهى هنا مع الخنازير ، دون لحظة مصالحة أو سلام ، وكم تمنيت فى تلك اللحظات أن أغمض عينى ، وأخلد للنوم أكثر من أى شىء فى حياتى ، ولكن حينما عبرت الخنازير هذا الباب إلى عالم الحرية ، . !! يا إلهى صدقينى يا براسكوفيا كان شيئاً خرافيا ! شىء يستحق أن يكتب فى التاريخ ، كنت أريد أن أنضم إليها ، لو كان هناك شىء محترمٌ يستر جسدى لخرجت معها إلى العالم الرحب ، . عالم الحرية .

براسكوفيا : تعنى انك ستسلم نفسك ؟

بلهيل : نعم فهذا قدرى ، نعم قدرى ، ذلك القدر الأعرج ، ذلك الذى سلسل حرية رجل واستسلامه فى قيد واحد ، لم يكن لى اختيار (ابتسامة تنطفىء على شفته) كان أمراً مقضياً أن أخرج من سجنى وأواجه قدرى ، ما الذى سيحدث سأحاكم وأعاقب ؟ هى ليست مشكلة إنما المشكلة أنى عشت وحيدا معزولاً هنا ، لقد نسيت عيون الناس فكيف سأنظر فى عيونهم ومع ذلك فهناك دائماً شىء أكبر من خوفى ، هو شوقى ، ولهفى ، لهذا العالم ،

الذى يقبع خلف هذا الباب . فأنا لا أنتمى لهذا المكان القذر ولكن لهذا الحلم الجميل الرابض خلف هذه الجدران . لقد قتلنى الشوق إليه يابراسكوفيا ، حتى لو كان عقابى الحرق فحسبى أن عينىّ ستلتقيان بعيون الرجال وهم يصوبون بنادقهم إلى رأسى ، ستكون عيونهم وطنى وسكنى الذى انتمى إليه وأحبها قدر كراهيتى لهذه الزريبة .

براسكوفيا : إذن دعنا نفعلها ، سأحضر شيئاً تلبسه (تغادر المكان ولكنها تتوقف بعد خطوات) ما يحزننى أننى كنت أتوق للذهاب إلى «باربينسك» ولكن لا بأس إننى مستعدة الآن

(تخرج بينما يتسلل شعاع من ضوء الفجر عبر الأبواب المفتوحة ، بلهيل يحضر وعاء الماء ويبدأ فى تنظيف نفسه ، عيناه تلحظ الطين والوسخ اللذين يغطيان الحوائط فيهرع إلى خرقة قماش مبللة ويبدأ فى تنظيف ، الحوائط فيبدو منهمكاً لأقصى حد ، تدخل براسكوفيا ومعها بدلة الزواج السوداء الخاصة به وقد ارتدت ملابسها)

بلهيل : ماذا تمسكين فى يدك ؟

براسكوفيا : ألا تعرفها ؟ إنها بزة زواجنا !

بلهيل : يا إلهى ، كان هذا من سنوات بعيدة هل تعتقدين أنه يمكننى ارتداؤها ؟

براسكوفيا : نعم ، رغم البؤس والشقاء والسنين لازالت موجودة ، لقد حاولت أن أصونها لك لأنى كنت أشعر أنك يوماً ما ستحتاج لها (بلهيل يبدأ فى ارتداء البدلة) كيف ستتصرف يا بلهيل فلا يوجد احتفال بالنصر فى هذه المرة ؟ أقول لك لن نحتاج لأى احتفال ليس عليك الا أن تقف فى نهاية الشارع وتعلن للعالم مَنْ أنت وماذا فعلت ، لا أعتقد أن أحداً سيضايقه أن يسمع قصتك ، سيقولون لازال العالم يعج بالمغفلين ، ولكن أحداً لايهتم بهم إلا الشرطة ، ربما كانت فكرة الشرطة هى أقصر الطرق لأنهم سيأخذونك إلى القسم وهناك سيعرف الجميع وبشكل رسمى جداً مَنْ أنت .

بلهيل : (بكبرياء) أنا لست مجرماً عادياً يابراسكوفيا تعتقله الشرطة ، فاللوائح العسكرية تقول : إن الهرب من ميدان الحرب هو أسوأ مايمكن أن يفعله الجندى (لازال يرتدى بدلته) سأسلم نفسى لقيادة الكتيبة العسكرية الثالثة مشاة ، فهيا بنا ، . . هيا فلنخرج الآن .

براسكوفيا : لو كان هناك عزاء لنا فأعتقد أننا قد وهبنا أنفسنا لضوء الشمس التى كنا نحلم بها أمس . . هيا بنا . . . هيا .

(يخرجان من الزريبة)

(إظـــــــلام)